

لأبي بكر يونس بن رزق النُّطيلي الأندلسي

(ت ق ٣هـ/ ٢٧٠هـ)

تقديم وتحقيق

د. أنيس سالم   د. عبد الغني ادعيكل

قال الفقيه يحيى بن عمر

الكناني الأندلسي (ت ٢٨٩هـ):

«لم يكن مع يُنُس بن رزق إلا مُصحف،

وهذا الكتاب؛ يعني كتاب الزُّهد ليونس».

تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (٢/١٩٨)





كتاب الزهد

لأبي بكر يمن بن رزق التطيلي الأندلسي

(ت ق ٣ هـ/ ٢٧٠هـ)

تقديم وتحقيق

د. أنيس سالم د. عبد الغني ادعيكل

قال الفقيه يحي بن عمر

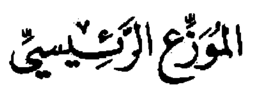
الكناني الأندلسي (ت ٢٨٩هـ):

«لم يكن مع يُمْن بن رِزق إلا مُصحف،

وهذا الكتاب؛ يعني كتاب الزُّهد ليمن».

تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (٢/١٩٨)





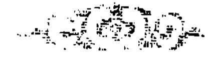
الموزِّع الرَّئيسيّ

مؤسسة الضحى
للطباعة والنشر والتوزيع

لبنان - بيروت - الطريف - بناية عيدو

تلفون: ٠٠٩٦١١٧٥٠٩٥٢ + جوال: ٠٠٩٦١٣٩٤٣٤٦١

البريد الالكتروني : chahrour.mohd2@gmail.com



الموزِّعون المعتمدون

المملكة العربية السعودية	المملكة العربية السعودية
المكتبة الأسدية / مكة المكرمة	دار النصيحة / المدينة المنورة
هاتف: ٠٠٩٦٦٥٣٧٩٣٣٩٤٦	هاتف: ٠٠٩٦٦٥٣٤٤٩٩٨٠١
جمهورية مصر العربية	**دولة الكويت**
دار السلام / القاهرة	دار إقرأ / الكويت
هاتف: ٠٠٢٠١٠١١٩٧٢٦٢٦	هاتف: ٠٠٩٦٥٢٢٦٥٥٣٤٠
الجمهورية العراقية	**المملكة الأردنية الهاشمية**
مكتبة أمير / كركوك	مكتبة مسك / عمان
هاتف: ٠٠٩٦٤٧٧٠٢٣٠٤٠٢٥	هاتف: ٠٠٩٦٢٧٩٦٠٥٤٨٠٠
المملكة المتحدة	**الجمهورية التركية**
مكتبة إسماعيل	مكتبة الإرشاد / اسطنبول
هاتف: ٠٠٤٤٧٤٧٩٩١٦٠٠٤	هاتف: ٠٠٩٠٥٣٢٤٥٢٠١٠٤
جمهورية داغستان	**جمهورية جنوب إفريقيا**
مكتبة ضياء الإسلام	مكتبة الإمام الطحاوي
هاتف: ٠٠٧٩٨٨٧٧٣٠٣٠٦	هاتف: ٠٠٢٧٨٢٧٨٦٣٩٣١

جميع منشوراتنا متوفرة على

موقع نون

www.noonpublishers.com

موقع النيل والفرات

www.neelwafurat.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلَّى الله على محمد وآله

قال الشيخُ الإمام العالم العامل العارف الزاهد العابد المجتهد، شيخُ عصره وإمام وقته، أبو[1] بكر يمن بن رزق الأندلسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورضي [عنا برضاه][2]:

ذكر الأشياء التي منها تتفرع فنون الخَيْر.

قال: حدثنا يحيى بن عمر بن يوسف، قال: حدثنا يُمن بن رزق قراءة مني عليه، قال[3]: **سأل سائلٌ حَكِيما**، فقال: أَخْبِرني بأصل الأشياء التي منها تتفرَّع فنون الخير، وتَجْري به المنافع، وتَصحّ عليه الأعمال، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم؟

فقال له الحَكيمُ: اعلم أنَّ أصْلَ الأشْيَاءِ التِي مِنْها تَتَفرّع فُنونُ الخَيْر، وتَجْري به المنافعُ، وتَصِحُّ عليه الأعمالُ بَعْد اليقين بالله[4]: **مَعْرفةُ النِّعم، والعملُ في أداء الشُّكر، وأن يَصِحَّ عنْدك أنَّ جميعَ** / ١ب/ **الخَيْرِ مواهبٌ مِن الله**، وتَعْلم أنَّ جميعَ المعاصي كلّها عقوبةٌ من الله، وإنما هي مِن طريق الخِذْلانِ، وذلك مِن عَلَامةِ السَّخَطِ.

فإذا اعترفتَ بذلك؛ كَثُرت حسناتُك، وقلَّت سيئاتُك؛ لأنك إذا علمتَ أن الإحسانَ نِعَمٌ ومواهبُ من الله ازدَدْتَ في الشُّكر، واسْتَقْلَلْتَ كثيرَ شكرك عند

---

(١) في (أ): «أبي». (٢) في (أ) كلمتان لم نتبينهما لعلهما ما أثبتناه.

(٣) «ذكر الأشياء التي منها تتفرع فنون الخير ... عليه، قال» ساقط من (أ)، و«قال الشيخ الإمام ... ورضي عنا برضاه» ساقط من (و).

(٤) «بالله» ساقط من (أ).

أصغر نِعْمةٍ عندك؛ لأن الجَبَّارَ العظيمَ مَنَّ عليك بها، وساقها إليك، فقَلَّ عندك كثيرُ الشكر، وكَبُر عليك صغير النِّعم، فجريتَ حينئذ[١] في ميدان الزِّيادةِ مِن عمل الخير، وعَلِمتَ معرفة الرِّضا، وطمعتَ في العفو.

وإذا علمتَ أن الإساءةَ التي اكتسبْتَها خِذْلانٌ من الله، وإنَّما هي مِنْ طريق[٢] السَّخَطِ، فإذا علمْتَ ذلك فزِعْتَ إلى التَّضَرع، فنزلْتَ بساحته، وإلى الاستكانةِ فصحبْتَها، وإلى التواضع فاتخذْتَه خِدْنًا[٣].

فإذا كان ذلك كذلك، لجأتَ إلى التوبةِ فاسْتَجرتَ بها، ولبسْتَ جلبابَ الحياءِ مما سَلَفَ منك، وشهد الله عليك به، وشاهَدَه منك مِن الإساءةِ، مع ما تعرف من كثْرة إحْسَانه إليك[٤]، فلم تَتعَرضْ بعْد ذلك لشيء ممّا يكره[٥]، وعمدتَ إلى المعاصي فبعادْتَها منك / ٢أ/ ومن غيرك، فأنتَ تكره أن يَعْصيَه أحدٌ مِن خَلْقِه كلّهم بصغيرة ولا كبيرة.

فراجعتَ الإحسانَ مجتهدًا، وأنتَ[٦] مع ذلك عارفٌ بالنِّعمة عليك في التنبيه[٧] والمراجعة، وإن ذلك[٨] تفضلٌ منه عليك، فالتمستَ لطيفَ الشكر بعد انقلاعك عن[٩] الإساءةِ بشدَّة المضَادَّة[١٠] لها، فعظُم شكرك عند التحويل

(١) في (أ): «يومئذ». (٢) في (أ): «طرق».

(٣) قال ابن فارس: «الخاء والدال والنون أصل واحد، وهو المصاحبة، فالخدن: الصاحب». مقاييس اللغة (٢/ ١٦٣)، مادة: «خذن».

(٤) «إليك» ساقط من (أ). (٥) في (و): «يكرهه».

(٦) «فراجعتَ الإحسانَ مجتهدًا وأنت» بياض في (و).

(٧) في (أ): «التنسية»، وصُححت في الهامش.

(٨) «في التنبيه والمراجعة، وإن ذلك» بياض في (و).

(٩) «انقلاعك عن» بياض في (و). (١٠) في (و): «المضارة».

إلى الإحسـان بعد الإسـاءةِ، فإذّاك قد سِرْتَ[١] في جميع أحوالك شاكرًا زائدًا، ولم يُعْجزْكَ[٢] معرفة الإحسـان، فشـكرتَ حينئذ الشَّـكُور[٣] المَشْكُور الذي وعد على الشكر الزِّيادةَ، وَوَعْدُه لا يُخْلف[٤].

وعَرَفتَ الإساءةَ من أين كان مَخْرجُها، فراجعتَ الإحسانَ بالعتاب[٥] منك لهـا، ولمَن زَيَّنها ودَعَاكَ إليهـا، **فهذا الأصلُ الذي يَتفرَّعُ منـه فنونُ الخَيْر**، وبه تَعَلُّق جميع[٦] أبواب الشَّرِّ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العلي العظيم.



---

(١) في (أ): «صرت».
(٢) في (أ): «تُعجزك».
(٣) في (أ): «الشكر».
(٤) قـال الله تعالـى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].
(٥) في (و): «بالعناد».
(٦) «جميع» ساقط من (أ).

باب في اليقين والفتنة[١]

وأمَّا ما سألتَ عنه مِن تَفْسير هذه الأشياء:

أما تفسيرُ[٢] **متى يكون العبدُ مَفْتُونًا وهو مُريد وهو لا يعلم؟** / ٢ب/

فإنه إذا كان عَمِيًّا عن عُيوب نفسه، مُتَشاغلا بعيوب غيره، كان مَفْتُونًا وهو مُريد به وهو[٣] لا يعلم.

وقلتَ: متى يكون مَفْتونًا مُصِرًّا وهو يعلم؟

فإنه إذا عَرَف عيوب نَفْسِه، وهو مُقيمٌ[٤] عليها، كان مَفْتُونًا مُصِرًّا وهو يعلم.

وقلتَ: متى يكون مَفْتونًا تائبا وهو يعلم؟

فإنه[٥] حين عَرَف عُيوبَ نفسه، ولم يرضَ بها، وبَادَرَ إلى تَرْكها والانقلاع عنها، ونَفْسُه تُنازعه إليها، وهو يُماريها فيَغْلِبها مَرَّةً وتَغْلِبُه أخرى، فهو مَفْتون تائب وهو يَعْلَمُ.



---

(١) في (و): «باب في تفسير بَاطِنِ الأعمال».

(٢) في (و): «تفسيرها».

(٣) «به وهو» ساقط من (أ).

(٤) في (أ): «مقيما» بالنصب.

(٥) «فإنه» ساقط من (و).

باب في الإحسان[١]

وقلتَ: متى يكونُ العبدُ[٢] مُحْسِنا وهو لا يعلم؟

فإنه إذا اشْتَدَّ خوفُه مما قَدَّم مِن الإساءةِ، حتى يظنّ[٣] أنه لا يُقْبل منه مع تلك الإساءةِ إحسانٌ[٤]، وخاف على حَسَنَاتِه أن تكون له[٥] إساءة، فحينئذ يكونُ محسنًا وهو لا يعلم؛ لِشدَّة غَلَبَةِ الخوفِ عليه.

وقلتَ: متى يكون زائدًا وهو يعلم؟

فإنه إذا كان لا يَعرف عيوبَ نفسه، فعُرِّفَ بها، وعَرَفَها، فانتقل عنها: كان زائدًا وهو يَعلمُ[٦].



(١) «باب في الإحسان» ساقط من (و).

(٢) «العبد» ساقط من (و).

(٣) في (أ): «وظن».

(٤) في (أ): «إحسانا» بالنصب.

(٥) «له» ساقط من (أ).

(٦) «وقلت متى يكون زائدا ... هو يعلم» ساقط من (أ).

باب في الاسْتِدْرَاج /٣أ/

وقلتَ: متى يكون مُسْتَدرَجًا وهو يعلم؟

فإن ذلك مُحَال؛ لأن المستدرَجَ[١] مُزَيَّن له ما هو فيه، لا يَعْرف من أين اسْتُدرج، فإذا عُرِّف فعَرَف، فقد أُريدَ به خَيْرٌ؛ لأنه أبصر[٢] عيبا كان عنده حسنا، فلما عُرِّف ذلك وعَرفَه، فَرَجعَ[٣] وخَضَعَ وضَرعَ، قُبِل منه إن شاء الله، واسْتُنْقِذ[٤] مِن طريق الاسْتِدراج، وهذا هو العَابِدُ المُضَيِّع للشُّكر.

والاسْتِدراجُ اسمٌ لمَعْنيين[٥]:

فأحد المعنيين: اسْتِدراج عقوبةٍ للسَّيِّئة[٦] تنبيهٌ على الإنابة.

والمعنى الثاني: اسْتِدراجٌ[٧] لا إنابةَ فيه ولا رُجوعَ، فنعوذ بالله من الاسْتِدراج.

وإنما يُسْتَدْرَجُ العبدُ[٨] على قَدْر بُغيته؛ فمنهم مَن يُسْتَدرج بالمُلك والسُّلطان وطاعةِ الناس له.

ومنهم مَن يُسْتَدْرَج بالدُّنُو من المُلوك والسَّلاطين والحُظْوةِ عندهم.

ومنهم مَن يُسْتَدْرَج بالتَّوسُّع في تجارته.

ومنهم مَن يُسْتَدْرَج بالأَهْل والوَلَد والغَاشِيةِ والشِّبع[٩] وَوَطْءِ الأعْقَاب.

ومنهم مَن يُسْتَدْرَج بِعِلْمِه أن يُكْرَمَ بِسَبَبِه، ويُحْمَدُ /٣ب/ ويُعَظَّمُ ويُسْمَعُ

---

(١) في (و): «الاستدراج».
(٢) في (و): «بصر».
(٣) في (أ): «فراجع».
(٤) في (و): «استنقض».
(٥) قال الطبري: «وأصل الاستدراج: اغترارُ المستدرَج بلطف مَن استدرجه، حيث يرى المستدرَج أن المستدرِج إليه مُحسنٌ، حتى يورِّطه مكروهًا». جامع البيان في تأويل القرآن (١٣/ ٢٧٢).
(٦) في (و): «السيد».
(٧) في (و): «الاستدراج».
(٨) «العبد» ساقط من (و).
(٩) في (أ): «والتبع».

قَوْلُه، فهو مُسْتَدْرَج نائل حَظَّه مِن عِلْمِه.

ومنهم العابِدُ يُسْتَدْرَجُ من طريق العُجْب في عَمَلِه والقُوَّة على ذلك في بَدنه.

ومنهم ذُو البَصِيرةِ يُسْتَدْرَج في الزِّيادة في بَصِيرتِه.

فجميع من[١] ذَكَرْنا من المُسْتَدْرَجين كلِّهم[٢] لا يخلو من الرِّياء والعُجْب.

وكلٌّ مُزَيَّن له ما هو فيه، لا يَرى إلا أنه على الطريق، مَقْبُول منه إحسانُه، وقد عَمِيَ عن فِتْنة ما هو فيه مِن الاسْتِدراج[٣].

ومنهم مَن يُنبَّه فيتنبه، فيُراجع الإنابة ويَفْزع إلى الاستكانةِ.

ومنهم مَن يُهْمَلُ فَيَهْمِلُ نفسَه إلى حُضُور أَجَلِه، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

فهذه فِتْنة الاسْتِدراج، فنعوذ بالله من ذلك، والمُسْتَدْرَجُ مفتون، لا[٤] يعلم بفتنته، مُزَيَّنٌ له عمله، مُسْتحسَن ما هو فيه، طالب للزِّيادة مما هو عليه مُقِيم، فاحذر فتنةَ / ٤أ/ الاسْتِدْراج[٥].

واعلم أن الاسْتِدْرَاجَ عقوبةٌ للمُضَيِّعينَ شُكْرَ النِّعم[٦].

❁ ❁ ❁

---

(١) في (و): «ما».   (٢) في (أ): «فكلهم».

(٣) أخرج البيهقي في كتاب الزهد الكبير (رقم:٣٥٢) عن علي بن عبد الحميد الغضائري أن السَّري قال: «من علامة الاسْتِدْرَاج العمى عن عيوب النفس».

(٤) في (أ): «فلا».

(٥) قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]، وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه: نمدهم بالنعم، وننسيهم الشكر عليها، فإذا ركنوا إلى النعمة وحجبوا عن المنعم: أُخذوا. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة (٢/ ٢٨٧).

(٦) يُنظر المدخل لابن الحاج (٢/ ٦٩).

باب في[(١)] اليقين

وقلتَ: متى يكون الرَّجلُ غير مُوقِنٍ وهو لا يعلم؟

فإنه إذا كان ظاهرُه[(٢)] أعمالَ المُوقنين، وباطنُه أعمالَ أهْلِ الشك فهو يعمل في الظاهر أعمال الموقنين[(٣)]، وباطنُه مُشْتمل على تكذيب ظاهره، وهو لا يعلم أنه كذلك: فهو حينئذ غَيْر مُوقِن، وهو لا يَشُكُّ أنه مُوقِن، وذلك أن أعمالَ باطنه أَوْلى به مِن ظاهره، وهذا من قول الحسن[(٤)]: «**ابن[(٥)] آدام إنَّ لَكَ[(٦)] سَريرةً وعَلَانيةً، فسريرتُك أَوْلى بك مِن علانيتك**»[(٧)].

و[(٨)] **قلتَ**: متى يكون غَيْرَ مُوقِنٍ وهو يعلم؟

قال: إذا عَرَف فُنونَ اليقين وأشكالَه، وأعمالَ أهل الشَّكِّ وأشكالَه، فرأى أن باطنه مُشْتمل على أعمال أهل الشَّكِّ، أَلْزَمَ نفسَه أنها غير مُوقِنةٍ، ولم يَلْتفتْ إلى ظَاهِر أعمالها[(٩)]، وتَصْديق ذلك قول الحسن: «**لقد وَارَتِ الأرضُ أقوامًا لو رأوْكم لقالوا: ما يُؤمنُ هؤلاء بيوم الحساب**»[(١٠)]، وفاسق زمان الحسن

(١) «في» ساقط من (و). (٢) في (أ): «فيه ظاهر».

(٣) «وباطنه أعمال أهل الشك فهو يعمل في الظاهر أعمال الموقنين» ساقط من (و).

(٤) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري (ت: ١١٠هـ). سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٦٣)، تاريخ الإسلام (٣/ ٢٥).

(٥) في (و): «لابن». (٦) «لك» ساقط من (أ).

(٧) أخرجه عن الحسن بلفظ قريب منه ابن المبارك في الزهد والرقائق (رقم:٧٧)، وابن أبي الدنيا في الصمت (رقم:٦٢٦)، وأحمد في الزهد (رقم:١٦١٩) بلفظ: «يا ابن آدم إن لك قولا وعملا وسرا وعلانية، وعملك أولى بك من قولك، وسرك أولى بك من علانيتك».

(٨) «و» ساقط من (أ). (٩) في (أ): «أعماله».

(١٠) ورد هذا القول منسوبا للحسن البصري بلفظ قريب منه في قوت القلوب (١/ ٤٢٤)، وحلية الأولياء لأبي نعيم (٢/ ١٣٤)، وإحياء علوم الدين للغزالي (٤/ ٢٤١).

الذي نَسَبَه[١] إلى هذا أَثْبتُ يقينًا مِن كثير مِن قُرَّاء زَمَانِك اليوم، إلا من عَصَم / ٤ب/ الله.

وقلتَ: متى يكونُ مُوقِنا وهو لا يعلم؟

فإنه إذا عَرف أعمال أضداد اليقين فَفرَّ[٢] منها، وعرف باطن أعمال اليقين فسكَن إليها، وهو مُسْتوحش من جميع ما يَعْمله لِمَا داخَله[٣] من رُعب مِن[٤] أعمال أهل الشك: أَلِفَه[٥] اليقينُ، فصار له خِذْنا، وهو مشغول بما قَدْ رَاعَهُ من أن يكونُ مُقيما على بعض أعمال[٦] أَهْل الشَّكِّ ومَن ضَادَّ اليقين عمله، فإذا كان كذلك لم يَعْدمْه أن يَنبتَ[٧] اليقينُ في قلبه وهو لا يعلم ذلك[٨].

وقلتَ: متى يكون مُوقِنا وهو يعلم؟

فإنه إذا عرف باطن أعمال أهل اليقين وظاهرها، فاشتمل عليه[٩] ظاهرًا وباطنًا، فبلغتْ معرفتُه حقائقَ ذلك، كان حينئذ مُوقِنا وهو يعلم، فإن أتتْ عليه تارةً فَتَر فيها، أو زَلَّ، أو حَادَ عن الطريق: رَاجَع مِن قريب، فبادر طريق اليقين، فَركِبه بالتوبه والنَّدم.

واعلم أن للمُوقِن علامةً مُوقِنةً[١٠] واضحةً، فتعرفها من نَفْسك ومن غيرك: أن المُوقِن **تَعظُم عنده ذنوبُ الخطأ والزَّلل**، وإن كان غيرَ مأخوذ بها[١١] لغَفْلته عنها، وركونه إليها بالشَّهوات، وهجوم / ٥أ/ إبليسَ على قَلْبه، وطمع نفسه فيما

---

(١) في (أ): «ينسبه».
(٢) في (أ): «فنفر».
(٣) في (أ): «دخله».
(٤) «من» ساقط من (أ).
(٥) في (أ): «ألف».
(٦) «أعمال» ساقط من (و).
(٧) في (أ): «يثبت».
(٨) «ذلك» ساقط من (و).
(٩) في (أ): «عليها».
(١٠) «موقنة» ساقط من (أ).
(١١) في (أ): «به».

هو أعظمُ منها، إذا عمل منها بشيء ظنَّ أنه قد استوجبَ النارَ، وأنه مسلوبٌ بها ما أنعم الله عليه به، فإذا كان العبدُ كذلك، كان مُوقِنا وهو يعلم.

و[١] قلت: مال بَالُ أقوام عارفين يُذنبون؟

قال[٢]: لِيعرفنّهم الله فضلَه عليهم وإحسانه إليهم عند إساءتهم إلى أنفسهم، فتتجدد[٣] عندهم النِّعم، ويستقبلون الشُّكر، فيصيرون بذلك إلى أَعْلى درجاتهم.



(١) «و» ساقط من (أ).
(٢) «قال» ساقط من (و).
(٣) في (أ): «فنجدد».

باب تفسير العُجْب

وقلتَ: متى يكون العبد معجبا وهو لا يعلم؟

قال: هذه مسألة تلحق جميع المُسْتَدْرَجين من الملوك وغيرهم من جميع الطبقات؛

فالمُلوك مُعْجَبون بمُلكهم.

والتَّبَع مُعْجَبون بحُظوظهم ودنوّهمْ مِن مُلوكهم.

والتُّجار مُعْجَبون بما بُسِط لهم مِن الأرباح والثَّروة، وما ينالون مِن الدنيا في تجارتهم وغير ذلك.

والعَامَّة مُعْجَبون بما أُتوا من الأهل، والوَلَد، والأموال، والأرباح، والمساكن[١].

والعلماء مُعْجَبون بعلمهم، وما / ٥ب/ بُسِط لهم فيه من الذِّكر.

والقُرّاء مُعْجَبون بما نالوا من القُوَّة على إظهار الزُّهد والصوم والصلاة.

فليس مِن هذه صنف إلا وهو يُحب التعظيم والمَحْمَدة عند مَن هو دونه، وعند مَن هو فوْقه، ومخرج ذلك كلِّه مِن **التَّجبُّر**، وهذه[٢] فنونه، فإذا ثبت التَّجبُّر في قلب عَبْد ثَبتتْ فنونه جميعا.

والتَّجبُّر أصل منه **يتفرع جميع الشَّر**؛ من الغَضب، والطَّمَع، وحب التعظيم، والرِّياء، والرِّياسة، والمنزلة، والسُّمعة، والتَّزيين، والطَّيْش، والعَجَلة، وسوء

(١) في (و): «والمساكين»، والأَوْلى والمناسب للسياق ما أثبتناه.

(٢) في (و): «وهذا».

الخُلُـق، والحِـرْص، والشَّـره[1]، والمَكْـر، والخَدِيعـة، والغِـشُّ، والخِلَابـة، والكـذب، والغِيبة، والنّميمة، والحَسـد، والقسـاوة، والجَفَاء، والشُّـح، وقِلَّة الحياء، مع جميع فُنون الشَّرِّ، فنعوذ بالله من الشَّر كلِّه.



(١) في (و): «الشـر»، والأَوْلـى والمناسـب للسـياق ما أثبتناه، والشـره: غلبة الحـرص؛ مختار الصحاح (١٦٤)، مادة: (شره).

باب التواضع

وإذا ثبتَ التواضعُ في القلب ثبت معه جميع الخَيْر[١] كلِّه؛ من الرَّأفة، والرِّقة، والرَّحمة، والاستكانةِ، والقُنوع، والرِّضا، والتَّوكل، وحُسن الظَّن، وشدَّة الحياء، وحُسن الخُلق، /١٦أ/ ونَفْي الطمع، وجهاد النَّفْس، وبَذْل المعروف، وسلامة الصَّدْر، والتَّشَاغُل بالنفس، والمبادرة في العمل بالخير، والإبطاء عن الشَّر.

كل امرئ على قَدْر ما فيه مِن البِر يكون فِعْله على قدر ذلك، ويكون حِذْره على قَدْر ذلك.

فإنْ كنتَ تَسأَلُ عن العُجْب الذي دخل على أصحاب الأعْمال مِن العُبَّاد، فسأخبرك بِفتْنتهم وشدَّة بليّتهم، فتَوَقها واحذرها، واستعن بالله، فإنه ليس شيءٌ أعجبَ إلى إبليس الخبيثِ من فتنة العابد؛ لأن فِتَن أهل الدنيا مكشوفةٌ بطلبهم الدنيا، فالناس قد عرفوهم بطلبها وفتنتها، فمنهم مَن يحتملها وهو يعلم أنه مفتون فيها.

وأما فتنةُ العابِد؛ فهي أعظمها فتنة، وأعظمها بليَّة، وأعظمها صَرْعَة؛ لأنهم قد تركوا عبادة الدنيا، وجدُّوا في طلب الآخرة، وكابدوا المَفَاوزَ والقِفَار، وجاهدوا صعود العقاب، وجاهدوا أنفسهم على تَرْك الدنيا؛ لمعرفتهم بالنفس وما تدعو إليه، ولمعرفتهم بالدنيا /١٦ب/ وما تدعوهم إليه، وأَقْبَلوا على طلب الآخرة وإيثارها بالصِّدق منهم وحُسْن الإرادة، غيْر أن الله جل ثناؤه[٢] مُمْتَحن هذا الخَلْق في كل أحْوالهم؛ **في تمسكهم بالدنيا، وفي تَرْكهم لها**[٣]، **وفي طَلَبِهم الآخرة وإيثارهم لها بالجِدِّ والاجتهاد**، وجَعَل في كل نوع من ذلك مؤنة، لا

---

(١) «باب في تفسير العجب ... جميع الخير» ساقط من (أ).
(٢) في (أ): «ذكره». (٣) «لها» ساقط من (و).

تُرفـع[١] إلا بالصـبر، ووَعَد إبليس وعْدًا، فهـو مُنْجِزه له إلى يـوم القيامة، بأن أسـكنه هو وذريتَه صـدور بني آدم، يجـري منهم مَجْرى الـدَّم[٢]، وذلك لمَن أطاع منهم ولِمَن عصى، ولأوليائه منهم ولأعدائه[٣].

فليس للعابد في عبادته أن ينفي الشيطان عن قراره، أو يُزْعجه عن المَسْكن الذي أسـكنه الله فيه، ومَكَّنـه منه، وهذه من المِحَن التـي امتحن الله بها خَلْقه؛ لِيَنْظر كيف يعملون، غير أن العَبْد إذا تيقظ بقلبه، خَنَس الخبيثُ عنه، فلم يكن له سـبيل[٤] إليه إلا مع غَفْلته، وطبع الله الخَلْق كلَّهم على الغَفْلة والتيقظ، وأيَّد العبد بمكابدة إبليسَ.

فليـس أحـدٌ أحوج إلى صِحَّة تركيـب العقل فيه مِن هـذا العابد الذي قد[٥] قَصـد قَصْـد خلافه، وقوي علـى احتمال تَرْك الأسـباب / ٧أ/ التي يصل بها[٦] إبليسُ إلى ابن آدم من فنون الشـهوات، فحذف ذلك أجمع، وخَلَّفَه خَلْفَه، ثم قرب من العقبة[٧] التي إن جاوزها كان منحدرها إلى الجنة بإذن الله، فتجرد له إبليسُ، وعلم أنه لم يبقَ عليه إلا هذه الدَّرجة التي إن سَلِم منها نجا، فلا يَسْلَم في مثل زمانك مع كثرة هذه الفِتن والمِحن، إلا مَن كان على مِثْل ما أَصِفُ لك.



---

(١) في (أ): «لا تدفع».

(٢) أخرج البخاري واللفظ له في صحيحه (رقم:٣٢٨١)، ومسـلم في صحيحه (رقم:٢١٧٥) عن صفية بنت حيي أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ،...».

(٣) في (أ): «ولأوليائه وأعدائه».

(٤) في (أ): «شيء».

(٥) «قد» ساقط من (و).

(٦) «بها» ساقط من (أ).

(٧) في (و): «المعقبة».

باب تصحيح النية واجتهاد العمل[١]

ينبغي للعبد أن يُصحح نيّتَه التي هي قوامُ عملِه، ويجمع لذلك قلبَه وذهنَه وغايتَه[٢]، ويُغزر علمه[٣] فيما يأتي، ويَذُرُّ[٤] في عبادة ربه، ويَقصد قَصْد معرفة ربه، ومكابدة عدوِّه، ومجاهدة نفْسه، وإيَّاسه إياها من عملها بطلب الثواب، ويعلمها[٥] أنها إن انقطعت في عبادتها لم تَبْلغ درجة العفو؛ لعظيم ما جَنَتْ من الإساءةِ.

ولو أن تلك العبادة والإحسان بإزاءِ ذنب واحد مِن ذنوبها لاستأهلت[٦] بذلك الذنب /٧ب/ العقابَ، إلا أن يعفو الله، فكيف بجميع إساءتها مع قِلَّة ما يسْتقبل من إضمار[٧] التوبة والمُراجعة؟

ثم يحملها على طاعة الله ما استطاعتْ، فإن عارضه إبْليسُ بشيء، أو رفعت نَفْسه رأسها لتذكّره شيئا من إحْسَانها: قَمَعَهَا بما قد عرَّفه الله منه[٨] من قديم إساءتها، ويُذَكِّرها عيوبها، فتنقمع عند ذلك، ويكون ذلك زاجرًا لعدوِّه إن شاء الله عندما أراد مِن خديعته؛ ليوقعه في العُجْب بالباطل.

فلو كان عُجْبه عَجَب حقيقة من احتمال نفْسه طاعة ربها بهشاشة منها، وسُرور وزهد فيما يكره الله: كان أَوْلى الأشياء بالنفس[٩] مع صِدْقها في

---

(١) في (أ): «باب في النية والعبادة».

(٢) في (أ): «وعنايته».

(٣) في (أ): «عمله».

(٤) قال ابن فارس: «ذر: الذال والراء المشددة أصل واحد يدل على لطافة وانتشار»، مقاييس اللغة (٢/ ٣٤٣).

(٥) «ويعلمها» ساقط من (أ).

(٦) في (و): «لاستهالت»، ويُقال استأهل بمعنى استحق واستوجب. المصباح المنير (ص ٢٨)، المعجم الوسيط (١/ ٣١).

(٧) في (أ): «ضماد»، وفي هامشها طرة: «إظهار، وفي أخرى: إضمار».

(٨) «منه» ساقط من (أ).

(٩) في (أ): «باليقين».

الطاعات الرجوع إلى الشـكر؛ لأن العملَ بطاعـة الله نِعْمة من الله على العامل فيما يَسَّر له من العمل، ومَن غَفَل عن الشكر في العمل، وذكَّر نفْسه إحسانها[١]: كان جاهلا بربه، جاهلا له بالعمل، جاهلا بالنِّعم، فمن ها[٢] هنا رجع الشيطانُ بعون الله صاغرًا، ناكصا على عَقِبيْه.

فألْزم نفسك الذَّم، /١٨أ/ وارْجع إلى ما عرَّفك رَبُّك مِن نفْسك، ومِن معرفة عـدوِّك، وارْغب إلى الله[٣] في العِصْمة مِن شَـرِّ نفْسـك وشَـرِّ عدوِّك، واسْـأله الكفايةَ، فإنه لم يلجأ إليه أحدٌ في شيء من ذلك[٤] إلا وَجده قريبًا مجيبًا[٥].

فـإذا صار العبدُ إلـى هذه الدَّرجةِ أُعْطي هذه المعرفة، فلا تكون له هِمَّةٌ ولا بُغْيةٌ ولا مسـألةٌ إلا النقلة من ضيق الدنيا وغمِّها، مخافة أن تعارضه[٦] فتنةٌ من فتنهـا، فتَحُول[٧] بينَه وبيْن معرفته، ويرتجـي[٨] أن يصير إلى الآخرة ورَوْحها؛ ليأمن فيها على نفْسه من رَوعَات إبْليس وجنوده لعنة الله عليهم[٩].

وأنـا أوصيـك أن تُطيـل النَّظَر في مـرآة الفِكْـرة، مع كثرة الخلـواتِ، حتى يُريك[١٠] شَيْن المعصيةِ وقُبحها، فيدْعوكَ ذلك النظر إلى تَرْكها.

❁ ❁ ❁

---

(١) في (أ): «إحسانه».
(٢) «ها» ساقط من (أ).
(٣) «إلى الله» في (أ): «إليه».
(٤) «من ذلك» ساقط من (و).
(٥) قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٥].
(٦) في (و): «يعارضه».
(٧) في (أ): «تحول».
(٨) في (و) و (أ): «يترجـى»، يترجـى ويرتجـي أصلهما واحد؛ «رجو: الرجـاء، ممدود: نقيض اليـأس.. رجا يرجو رجاءً، ورجى يُرجِّي، وارتجى يرتجـي، وترجى يترجَّى ترجِّيًا» العين (٦/ ١٧٦).
(٩) «لعنة الله عليهم» ساقط من (أ).
(١٠) في (و): «تريك».

باب في[1] الرِّياء.

وقلتَ: متى يكونُ العَبْدُ مُرائيا وهو لا يعلم؟

فإن أصل ذلك أنَّ العَبْد لم يزلْ منذ[2] نشأ مُرائيا في جميع أحواله؛ وذلك لِميْله إلى الدنيا وإيثارِه لَهَا على الآخرة، /٨ب/ وإهمالِه نفسَه وإرْسالِه نيَّته، فلما أهْمَل[3] نفسَه، وقَلَّتْ محاسبتُه لها: لم يتخلَّصْ من الرّياء[4]، فعمل للدنيا على غيْر أصل نيةٍ ثابتةٍ.

وقد نهى الله عَزَّوَجَلَّ عن إهمالِ النَّفْس، وتضييعِ الأعْمال، فقال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[محمد:٣٣]، فنهاهم عَزَّوَجَلَّ عن إضاعةِ العمل، فلا يكونُ عملٌ من الأعمال إلا عن إرادةٍ، ولا تكونُ الإرادةُ إلا عن النِّيةِ.

وقد نهى الله عَزَّوَجَلَّ عن إضاعةِ شيءٍ مِن ذلك، وأيُّ عَمَل أكثر من الإرادة والنيَّة، وقد وجدنا الإنسان لا يخلو مِن حركةٍ أو سُكُون، والحركةُ والسُّكونُ جميعًا عمل.

وقد نهى الله عَزَّوَجَلَّ عن تضييع العمل، فلما تَرَكَ ما أمره الله به من إخلاص العمل، لم يُمَيِّزْ بيْن الرِّياء من غيره، أمرج نفْسه[5] فعمل على ما يَخْطرُ بباله، فجميع[6] ما يتقلَّب فيه رياء ظاهرٌ محضٌ، لا يعرفه هو من نفْسه، ويعرفه منْه مَن نوَّر الله تعالى الحِكمة في قلْبه، فهم يرون فِعْلهم[7] فِعْل أهل الرِّياء، فمنهم

---

(١) في (و): «من».
(٢) في (أ): «مذ».
(٣) في (و): «أهل».
(٤) «من الرياء» ساقط من (أ).
(٥) أمرج نفسه: أي أرسلها، يُنظر لسان العرب (٢/ ٣٥٦) مادة: «مرج».
(٦) في (أ): «وجميع».
(٧) «فعلهم» ساقط من (أ).

مَـن يُمْسِـك / ٩أ/ عن صاحبـه لمعرفته به، ولو أنه أبدى له شـيئا من عُيوبه نَفَر منهـا، ودَبَّ[١] عن نفســه، وأبْطَلَ ما نسـبهُ إليه، فصار عَدُوًّا مُشَـاحِنًا، وأقلُّ ما يقولُ للعارف بعيوبه: حَسَدْتني.

فلمَّـا عَرَف الحَكيم[٢] أهـل زمانه، وأن زَمَانه زمان غَلَبـةِ الهَوى وإعجاب كل ذي رأي برأيـه، اعْتَـزل بنفْسِـه، ونَفَرَ عـن العامةِ، وعَلِم أنـه زمانٌ قد صار المعروفُ عند أهل زمانه مُنْكرًا، وأنَّ الشَّـر قد أحاط بالخيْر، اعْتَزل أهل زمانه بِصِدْق الإرادةِ.

فلمَّا تبيَّن له الصِّدْق وما فيه، وأن العمل لا يصفو إلا بالصِّدْق، اتقى الكذبَ وفُنونَه كلّها[٣]، وتَشَـوَّفتْ عند ذلك نفْسُـه إلى الكـذبِ والرِّياءِ؛ لحلاوة فنونه عندها، فأخذها بالجِدِّ في ترْك ذلك والاجتهاد.

فلمَّـا رأتْ ذلك منه، رجعـتْ منقادةً، فلما صارتْ إلـى تلك الحال، ورأى العَبْدُ ذلك منها، ازداد في الصِّدق شوقًا[٤]، وازداد للكذب مَقْتا، وإنما كان يَنْفر الصِّـدق وفنونه مـن قلبه؛ لغلبة الكـذبِ وفُنونه عليه، وهو الرِّيـاء، والعُجْب، وحبُّ الرِّياسـة، واتخاذ المنزلةِ عند المخلوقين،/ ٩ب/ والمَحْمَدة، والتعظيم، والتَّجَبُّر في الأعمال الكاذبة، فمن عمل بالصِّدق، ونَفَى الكذبَ، برئ من الرِّياءِ والعُجْبِ ودواعي الشَّرِّ كلِّه، فإذا خلا من ذلك، ثبتَ الصِّدق وفُنونه[٥] في قلبه.



---

(١) في (أ): «وذب» بالدال المعجمة. (٢) في (و): «الحكم».
(٣) في (و): «اتقاء الكذب وفنونها كلها»، والأوْلى والمناسب للسياق ما أثبتناه.
(٤) في (أ): «تشوقا». (٥) «وفنونه» ساقط من (أ).

باب معرفة العمل[(١)]

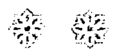
وقلتَ: متى ينتفع بعمله؟

قال: إذا كان مُطيعًا لعلمه، متبعا لدلالته وأعْمَاله[(٢)].

و[(٣)] قلتَ: فهل ينتفع العبدُ بالمعرفة إذا كان مُقَصّرا[(٤)]؟

قال: لمسألتك جوابان؛ لأن التقصير[(٥)] في العمل والتضييع للعمل يختلف معناهما؛ لأنه مَن لم يبلغْ مِن الشكر على قَدْر النِّعمة عليه، وهو يعْمل بالدلالة غير أن عمله قليل، فهو مقصر في العمل[(٦)]، والتضييع للعمل ما كان منه على غيْر دلالة، وإن كثر فإنه خفيف الوزن، وذلك الأوَّل[(٧)] أوزن منها، غير أن المعرفةَ نعمة أقبلتْ لاجتلاب الخيْر إلى مَن أقبلت إليه، مع قيام العبد الذي أقبلتْ إليه بالشكر.

وليس يُؤتى أحدٌ الأمرَ قِبل تضييع الشكر؛ لأن النِّعم مِن الله سابقة[(٨)] إلى خلقه، وذلك أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى / ١٠أ/ أوجب على نفسه لخَلْقه جميعا الابتداء بالنِّعم، وهو أوْلى بالإحسان[(٩)] إلى عباده، وفرض عليهم الشكر فرضا، ثم أوجب لهم عليه المزيد من فضله امتنانا منه عليهم، وأوجب العقوبة على مَن يضيِّع[(١٠)] الشكر امتحانا، فصفح بَعْدُ عمن شاء منهم على تركه للشكر[(١١)]،[(١٢)].



(١) في (أ): «باب في العلم».
(٢) في (أ): «وأعلامه».
(٣) «و» ساقط من (أ).
(٤) «إذا كان مقصرا» ساقط من (أ).
(٥) في (و): «التمييز».
(٦) «فهو مقصر في العمل» ساقط من (و).
(٧) في (أ): «وتلك الأولى».
(٨) في (و): «سابقة مِن الله عَزَّوَجَلَّ».
(٩) في (أ): «بالإحسان تَبَارَكَ وَتَعَالَى».
(١٠) في (أ): «ضيع».
(١١) في (أ): «الشكر».
(١٢) قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

باب علامة الخيْر[١]

واعْلم أن لدواعي الخيْر علامات تستجلب؛ منها داعية[٢] الحزن والتفكر، فهو بيْن ذلك مسْرور؛ لأنه جعل ذلك في الدنيا بُغْيته وأمله، فإذا أدرك أمله ووَجَد بُغْيته طَاب عيْشُه، كما أن طالبي الدنيا إذا أدركوا ما أَمَلوا[٣] من نعيمها وزهرتها أحاط بهم السُّرور، فكذلك طالب الآخرةِ، وهو يعد[٤] ذلك مِن نفْسه، وعدوِّه، وزوجته، وولده، وأهل زمانه؛ خائف وَجِلٌ[٥]، لا يأمن الشيطانَ إلا مع استذكاره؛ لقول[٦] الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]، فحينئذ يقوى قلبه، واستصغر كيْد مَن كايده، وهو مع ذلك /١٠ب/ معتصم بربه، واثق به.

فمن طلب الآخرةَ فلا يغفلن، وليَبْنِ على ما[٧] طلب السلامة من الخطإ، وعلى أساس الصِّدق فيما بينه وبيْن ربه، ولا يخافن على قليل عمله إذا أخلصه لله من الآفات كلِّها أن ينميه الله له ويكثره، ولا سيما إذا كنت في زمان قد كثرت فيه الشُّبهة والاختلاف، فإن يخلِّصك قليل عملك من بين ظهراني أهل الشُّبهة والاختلاف، حتى تكون عاملا على حُكم الكتاب والسُّنة، فإنّ ذلك عند الله كثير.

فكن في زمانك أشدَّ تيقظا للتخلص[٨] إلى معرفة ما كان عليه السَّلف الماضون من اتباع حُكم الكتاب والسُّنة.

❁ ❁ ❁

(١) «باب علامة الخير» ساقط من (أ).
(٢) في (أ): «بها دواعيه».
(٣) في (أ): «آمالهم».
(٤) في (و): «بعد».
(٥) في (أ): «خائفا وجلا» بالنصب.
(٦) في (أ): «قول».
(٧) «م» ساقط من (أ).
(٨) في (و): «للتخليص».

باب المعرفة بالله عَزَّوَجَلَّ[١].

واعْلم أن المعرفة إذا استحكمتْ فيك لم تَدعْك والتقصيرَ في العمل، بل تنقلك مِن درجة إلى درجة، حتى تُبلغك غايات ما عملت مِن الخيْر، أو يأتيك الموت وأنت طالب لغاياتها.

وكما أن الأرضَ لا تُنْبت بغيْر ماء، فكذلك العمل لا يصلح بغيْر معرفة، **فكلما** / ١١أ/ **ازْداد العبدُ بالله معرفةً ازداد يقينا**، وكلما ازداد يقينا ازداد لله خوفًا، وكلما ازداد لله خوفا ازداد لربه طاعةً[٢]، وكلما ازداد لربه طاعة ازداد له حُبا، وكلما ازداد لله حُبا ازداد إليه شَوْقا، وكلما ازداد إليْه شَوْقًا ازداد[٣] للموت حُبا.

فإذا كان العبدُ كذلك كان مَغْمُوما في حالةٍ، مسروًا في أخرى، وذلك أن المَغْمُوم على الحقيقةِ لا يتأسى بأهْل السُّرور في الدنيا، ولا يجْري معهم فيما هم فيه، وذلك أنَّ المَغْمُومَ جَمَع همومه كلَّها فنصبها بيْنَ عينيْه، ثم جعلها هَمًّا واحدًا، فقصر به أجلُه، وهَجَمَ به على معاني[٤] أهْوال آخرته.

والمَغْمُوم بالحقيقة يُنبِّهه الغَمّ على التَّسْويف، فيعمل في[٥] النقلة مِن دار الغُموم إلى[٦] دار السُّرور، وسأصف لك إن شاء الله حال المَغْمُومين[٧].

❁ ❁ ❁

---

(١) في (أ): لحق فيه: «في أخرى: باب معرفة المعرفة».

(٢) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨].

(٣) «ازداد» ساقط من (أ).

(٤) في (أ): «معاين».

(٥) «في» ساقط من (و).

(٦) «الغموم إلى» ساقط من (أ).

(٧) في (أ): «حال المغمومين إن شاء الله»، وهو مجرد تقديم وتأخير لا يؤثر في المعنى.

باب صفة المَغْمُومين[١]

اعْلَـم أنَّ لله[٢] عبـادًا تَدَبَّروا فعَرَفُـوا، فلمَّا عَرَفُوا أيقنـوا، فلمَّا أيقنوا خافوا، فلمَّـا / ١١ب/ خافـوا تعلَّموا، فلمَّـا عَلِمُوا صَمتـوا، فلمَّا صمتوا عمِلـوا، فلمَّا عملـوا أشْـفَقُوا، فلمَّا أشـفقوا[٣] اجتهدوا، فلمَّـا اجتهدوا رغِبـوا، فلمَّا رغبوا صبروا، فلمَّا صبروا أبْصَروا مساوئ أنفسهم.

فلمَّا أبْصروا مساوئ أنفسهم قصدوا قَصْدَ مجاهدتها بالقلوب، فارتفعوا عن أعْمـال الجوارح إلى تصحيح أعمال القلوب إلى مـا لزمهم مِن أداء الفرائض المحتومـة[٤]، فنقلـوا طبائعهم عن الرِّيبِ والدَّناءةِ، وجانبـوا في أحوالهم كلِّها ومعاملاتهـم أحـوالَ أهـل المَكْـر والخَدِيعةِ والخـب[٥]، وألزموا أنفسـهم[٦] مَحجَّةَ الطريق في أفعالهم كلِّها ومَنطِقهم، فاسـتخلصوا باطن الأعمال التي لا تَظْهـرُ للمَخْلوقين، وأراحوا أبدانهم مِن ظاهر الأعمـال، إلا ما لزمهم مِن أداء الفرائض المَحْتومةِ.

فصـارتْ أعمالُهم سَـرَابيل[٧] قلوبهم التي هي أرْجـح وَزْنا، وأحمد[٨] ذِكرًا عنـد النـاس، وعلّقوا قلوبهـمْ بِحُبِّ لقـاء الله، فَصَغُرتِ الدنيـا في أعينهم، فإذا

---

(١) «باب صفة المغمومين» ساقط من (أ). (٢) «لله» ساقط من (أ).

(٣) «فلما أشفقوا» ساقط من (أ).

(٤) «إلى ما لزمهم مِن أداء الفرائض المحتومة» ساقط من (أ).

(٥) في (و): «الحب للدنيا». والخب: الخداع، مقاييس اللغة (٢/ ١٥٧)، مادة: «خب».

(٦) في (و): «لأنفسهم».

(٧) في (أ): «سِرًّا بين»، والسربال: القميص والدرع، وقيل: كل ما لبس فهو سربال، وقد تسربل به وسربله إياه، وسربلته فتسربل أي: ألبسته السربال، وفي حديث عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا أخلع سربالا سربلنيه الله تعالى»، لسان العرب (١١/ ٣٣٥)، مادة: «سربل».

(٨) في (أ): «وأخمل».

أَقْبلتْ عليْهم خافوا وحزنوا؛ خوفًا من الاستدراج والمَكْر، /١٢أ/ وإنْ أدبرتْ عنهم[١] سُــرُّوا وفرحوا، ودافعوا الأيــام مُدَافعةً جميلةً، مسْــتَترين عن الأهْل، والولد، والإخوان، والجيران.

فهِمَّتهــم في باطن أمُورهم كالدِّيباج حُسْــنا، وفي الظاهــر مناديلُ مبذولين[٢] لمَــن أرادهــم مَغْموميــن، يكاشــرون[٣] الناس بوجوههــم وقلوبهــم باكية[٤]، وصفاتهم أكثر من أن يُحيط الواصفُ بها في الكتب، والكلام يَكْثُر في ذلك.

فهــذه صِفَة[٥] المَغْمُومين على الحقيقةِ، المســرورين بــالله، المنقطعين لله جلَّ ذِكره، فالحمد[٦] لله ربِّ العالمين.



(١) «عنهم» ساقط من (و).

(٢) الكلمتان غير واضحتان في (أ).

(٣) الكشر: بدو الأسنان عند التبسم، لسان العرب (٥/ ١٤٢)، مادة: «كشر».

(٤) ومن ذلك ما ورد عن عن أبي الدرداء، قال: «إنا لنكشر في وجوه أقوام، ونضحك إليهم، وإن قلوبنا لتلعنهم»، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (رقم: ٧٧٤٩).

(٥) في (أ): «صفات».

(٦) في (أ): «والحمد».

باب معرفة المَرْء عيوب نفسه[١].

واعْلَـم أني قد وجـدتُ الـذي يُعِين على معْرفـة عيوب النفـس والعمل في مجاهدَتها: **مخالفةَ الهوى**، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيـم[٢].

إخـواني: إنه[٣] مَن لـم يعرف نفسـه و[٤]عيوبها، فهو من اسـتقامةِ دِينه على اعوجاج.

واعلم أن مِن حُسْـن سِيرة العارف بعيوب نفسه: أن يَبْني دِينه على غيْر قبح ولا فساد.

وأصـلُ العِلم الغريـب[٥] يُدْرك بِفِطَن العقـول الرَّضِيَّة، وتُـدْرك[٦] البصائر بالحجـج الواضحة، وبنـور الحِكمة النافـذة[٧]، وبمخالفة الأهـواء، وبفوائد المعرفة الشافية، وبإصابة /١٢ب/ الحق في القوْل والعمل.

ولا يبْلـغ هـذه المراتبَ العاليةَ إلا مَن تَقلَّد حبَّ الآخـرة، مُوقِنا بها، وراغبًا فيهـا، ومُؤْثِـرا لهـا علـى ما سـواها، وخَلَع عـن قلبه حُـبَّ الدنيـا، وزهد فيها بالحقيقة، واسْتَشْعَر التواضع، وهَجَر الهوى[٨].

---

(١) في (أ): «باب في عيوب النفس».

(٢) «واعْلم أني قد وجدتُ ... بالله العلي العظيم» توجد هذه الجملة في (و) في آخر باب التزين.

(٣) «إنه» ساقط من (و). (٤) «و» ساقط من (و).

(٥) في (و): «العريز»، ويقصد بالعلم الغريب: العلم الباطني؛ وهو علم الخاصة، وقد ذمه الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: شـر العلم الغريب، وخير العلم الظاهر الذي قد رواه الناس، رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي والسامع (رقم: ١٢٩٢).

(٦) في (أ): «ويدركان». (٧) في (أ): «الثاقبة».

(٨) ورد بعـد هذا في (أ): «وتَجَرَّد الثواب، والميل إلى الدنيا، وإيثار شـهواتها ولذَّاتها»، وورد في (و) في آخر باب التزيين.

فينبغي /١٨ب/ للعاقل الحازم اللبيب العالم العامل العارف البصير الناقد[١] أن يحذر ذلك كلَّه، ويتخذ الصبر مَطيَّة، ولا يبتغي[٢] تعجيل الثواب ها هنا، ويتحرك لعزيمة الصَّبْر، وبالله التوفيق.



---

(١) «الناقد» ساقط من (أ).

(٢) في (أ): «ينبغي».

باب خَاطر السُوء في القلب[١]

يـا أخي؛ إنه لـن يعدمك مِن عـدوِّك خَاطِرِ السُّـوء[٢] في القلـب للمعصية، فادفعْه عنك بحاكم[٣] العِلْم مِن القلب للطاعة[٤].

وإنـه لن يعدمك مِن عدوِّك[٥] سُـرْعة القَبول لموافقـة الهوى، فاردده عنك بِقِلَّة المساعدةِ بخلاف الهوى.

واعْلـم أنـه[٦] لن يعدمـك مِن نفسـك[٧] التَّثبُّـط في[٨] العمـل، فادفعْه عنْك بتعجيل المبادرة في العمل.

وإنـه لن يعدمـك مِن نفْسـك التَّثبُّط بالكسـل، فادفعه عنـك باغتنام /١٣أ/ الصِّحةِ.

واعْلـم يا أخـي أن القلب إذا تراكمـتْ[٩] عليه أقذار الذنـوب وأطفاس[١٠] الشَّهَوات عَمِيَ، واسْوَدَّ، ونكَس، وطَفِئَ نورُه، فلم يبْصر عيوب نفْسِه، وأَبْصر بعيْنـه عيوب غيْره، فشُـغِل به عن عيوب نفْسِـه، فليس شَـيءٌ أوْلـى بالمُدَّعين للإرادةِ مِن أن يتوسَّـلُوا إلى الله عَزَّوَجَلَّ بطِلْبَتهم[١١] منه صَلاحَ قلوبهم، لِيَسْـلَموا من شُرور أنفسهم وغَلَبةِ أهوائهم.

---

(١) «باب خاطر السوء في القلب» ساقط من (أ).

(٢) في (أ): «الشر».

(٣) في (أ): «تحاكم».

(٤) في (أ): «بالطاعة».

(٥) في (أ): «نفسك».

(٦) في (أ): «وإنه».

(٧) في (أ): «عدوك».

(٨) في (أ): «عن».

(٩) في (أ): «تراكبت».

(١٠) الطَّفَسُ، بالتحريك: الوسخ والدرن، مقاييس اللغة: (٣/ ٤١٥)، لسان العرب: (٦/ ١٢٤)، مادة: «طفس».

(١١) في (أ): «بطلبهم».

واعْلـم أن القلبَ إذا لم يثبُتْ فيه الحُزْن خَرِبَ، كما أنَّ البيتَ إذا لم يُسْـكَنْ خرب[١].



(١) أخـرج أحمـد في كتـاب الزهد (رقـم: ١٨٧٠) أن مالك بـن دينار قال: «القلـب إذا لم يكن فيـه حزن خرب، كما أن البيت إذا لم يسـكن خرب». وقال ابـن أبي حاتم: قال لي علي بن عبد الرحمن: قال لي أحمد بن عاصم: قلة الخوف من قلة الحزن في القلب، وإذا قل الحزن خرب القلب، كما أن البيت إذا لم يسكن خرب. تاريخ الإسلام للذهبي (٥/ ٥٠٨).

باب في الحزن والخوف[1]

[و] قلتَ: ما علامات[2] الحُزْن الدائم في القلب[3]؟

قـال: إذا غَلَـبَ على القلب طُول الفِكْـر، والنظر في العِـبرِ، وأَحَبَّ الخلوةَ والانفرادَ.

قلتَ: فالعلامة الثانية التي ذكرتها في الخائف ما هي؟

قال: الانتقالُ عمَّا تكره مِن نفسـك، وتَعْلم أن الله يكرهه منْك إلى ما تحبُّه مِن نفسك، وتَعْلم أن الله يحبُّه منْك، ولا يوجد ذلك إلا بالخوف.

واعْلم أنّ العلمَ والعملَ بالعلم لا ينفع العبدَ إلا باستقامةِ /١٣ب/ قلبه، وإلا عـاد العلمُ عليه فصار جهلًا، وعاد العملُ فصار ضررًا، مع أن فسـادَ قلوبنا هو الذي فرَّق بيننا وبيْن سـلوك طريق الاسـتقامة، والاتباع للقوم الذين يُصلحون عند فساد الناس، هم الذين لم يَتْركوا شيئا من الفرائض[4] إلا أدَّوه، ولم يَتْركوا الصـلاةَ، والزكاةَ، والحجَّ، والصيامَ، والغُسْـل مِن الجنابـة، والطُّهور للصلاة عليهم واجبٌ ذلك كله، وهو شيء معروف لم يزدْ فيه ولم يُنْقص منه.

فما بال الفسـاد واقع علينا ونحن لا نُنكر هذه الفرائض، كما لم ننكرها[5]، وإنـا لنعمـل في الظاهـر بأكثرها، غيْـر أن القلوبَ منّـا مائلة إلى حـبِّ ما زهد القـوْمُ فيه، والأنفسُ منا مائلة[6] لحُبِّ هَوَاهَا، مسـتثقلة لِمَا في الحق مِن الصبر والمكروه؟

---

(١) «باب في الحزن والخوف» ساقط من (و).

(٢) في (أ): «علامة».

(٣) «في القلب» ساقط من (أ).

(٤) في (أ): «من الفرائض شيئا»، وهو مجرد تقديم وتأخير لا يؤثر في المعنى.

(٥) في (أ): «ينكروها».

(٦) في (و): «قابلة».

وسأُعطيك دواءًا لِفَسادِ قلبك، ينفعك الله به إن كانتْ بك الحياةُ إن شاء الله جل وعز.

اعْلَم يا أخي أن القوْمَ صَبَروا على مكروه ما دَلَّهم عليه الحق، فصَبَروا في الغضب والرِّضا، والشِّدَّة والرَّخاء، والعُسْر واليُسْر، والعافيةِ / ١٤أ/ والبَلاء، فكانت أهواؤهم تابعة للحقِّ على ما أحبتِ الأنفس أو كرهتْ، فكان الحقُّ لها قائدًا، والهوى للعقل تابعًا، فاستقامتْ منهم السِّيرة، بلزومهم مَحَجَّةَ الحق في مَوْطن غضبهم، ورضاهم، وطمعهم، وتقومهم، وكانوا إذا امْتُحنوا في هذه المواطن، ظهر منهم في الغضب قولُ الحق في مواطن غضبهم، هم له في ذلك الوقت ألزمُ وأشدُّ تَمسُّكًا منهم في مواطن الرِّضا.

فإنْ عارضهم طَمَعُ دنيا ظهر التَّنزُّه، والتقوى[١]، والتَّأنِّي، والورع، وَفُقِد منهم الحِرْص والرَّغْبة، خُلقًا كان منهم كالطباع لم يَتصنَّعوا فيه، **وطباعنا**[٢] **اليوم تخالف**[٣] **ذلك كلّه**، وكانوا أخوفَ لله، وله أحْذر مخافةَ ألَّا يُقبل لهم عمل[٤].

ولا[٥] تفْرحنَّ بكثرة العمل مع قِلَّة الحُزن، فاغتنم[٦] قليل العمل مع الحُزن، فإن قليلَ حُزْن الآخرة الدائم في القلب يَنْفي غِلَّه[٧] كل سرور أَلِفَه من سُرور الدنيا.

وقليل سُرور الدنيا في القلب يَنْفي عنه جميع حزن / ١٤ب/ الآخرة، والحزن لا يصل إلى القلب إلا مع تيقظه، وتيقظه[٨] حياته.

---

(١) في (أ): «والتقى».
(٢) في (أ): «وطبائعنا».
(٣) في (أ): «بخلاف».
(٤) في (أ): «عملا» بالنصب.
(٥) في (أ): «فلا».
(٦) في (أ): «واغتنم».
(٧) «غله» ساقط من (أ).
(٨) في (و): «تيقضه وتيقضه».

وسـرور الدنيا لغير الآخرة لا يصل إلى القلـب إلا مع غَفْلته، وغفلةُ القلب موتُه.

والحزن يستيقظه[١] التيقُّظ مِن خالص عيْـن اليقين، وبخطـراتِ غائص[٢] الفهْم تكون خطراتُ اليقين، وعلامة ثبات اليقين في العبد استدامة[٣] الحزن فيه.



(١) في (و): «يستنبطه».
(٢) في (أ): «غامض».
(٣) «ثبات اليقين في العبد استدامة» ساقط من (أ).

باب في الحزن[١]

واعْلَم أني لم أجد شيئًا أبلغَ في الزهد في الدنيا مِن ثباتِ حُزْن الآخرة في القلب، وعلامةُ ثبات الحزن[٢] في القلب أنْسُ العبْد بالوحدةِ[٣]، ومَوْضِع هياج الحُزن التيقظُ، والسُّرور مَعْدِنه، ومفتاحه العقل[٤]، ومُحَال أن يكون محزونًا مسرورًا في حالة[٥] واحدة.

وجميعُ الطاعاتِ تؤخذ بالتكليف إلى[٦] أن يصل إلى القلب الذي يكون منه الحزن، وذلك أن أهل الطاعة قدَّموا بيْن يدي الأعمال لطيفَ معرفةِ الأسباب التي بها يَسْتَديمون صالح الأعمال، ويَسْهلُ عليهم مأخذها توطينًا منهم لأنفسهم استصحاب نيتهم إلى انقضاء حالهم[٧]، فصيَّروا أعْمالهم في الدنيا يوما واحدًا / ١٥أ/ وليلةً واحدة[٨]، كلما مضتْ ليلةٌ استأنفوا الثانيةَ، وطلبوا من أنفسهم حُسْن الصُّحْبة ليومهم وليلتهم، وكلَّما مضى عنهم يومٌ بحُسْن الصُّحْبة منهم أو ليلةٌ، راقبوا أنفسهم فيها على جميع الطاعة، وكان ذلك عندهم غُنْمًا[٩].

---

(١) في (أ): «باب في الزهد والحزن للآخرة». (٢) في (أ): «حزن الآخرة».

(٣) نقل عنه هذه الفقرة ابن عجيبة في البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٤/ ٢٧٥)، ثم قال عقبها: «وهذا مذهب العباد والزهّاد، وأما العارفون فقد دخلوا جنة المعارف، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، جعلنا الله من خواصهم بمنّه وكرمه».

(٤) في (و): «الغفلة».

(٥) في (أ): «حال»، وكلاهما يستقيم به المعنى.

(٦) في (أ): «وجميع الطاعات توجد بالتكلف والحزن لا يوجد بالتكلف إلا».

(٧) في (أ): «آجالهم». (٨) «واحدة» ساقط من (و).

(٩) يُنظر المدخل لابن الحاج: (٣/ ٧٩).

وذكـروا اليوم الماضي فسـرُّوا به، فصبروا أنفسـهم على اليوم المسـتقبل؛ لانقضاء الأجل فيه أو في ليلته، وطرحُوا شغل القلب بذكر غَدٍ، وأعملوا أبدانهم وجوارحهـم فيه، وتفرَّغوا له، فقصـرت منهم الآمال، وقربت عندهم الآجال، وتباعـدت عنْهم أسـباب وسـاوس الدنيـا، وعظُم شـغل الآخـرة في قلوبهم، فنظروا إليها بعين صاحية النظر نافذة البصر، وتقربوا إلى الله بالأعمال الزَّاكية، فاستقامت لهم السِّـيرة حتـى[1] وجدوا حـلاوة الطاعـة، /٢٠ب/ وطاوعتهم الزِّيادة في التقوى، فقـرَّت بالخوف أعينهم، وتنعموا بالحزن في عبادتهم، حتى نُحِلت أجْسـامُهم، وبليتْ أجْسـادُهم، وقَلَّ مع المخلوقيـن كلامهم، وتلذَّذوا بمناجات خالقهم.

فقلوبهـم بمَلَكُـوت السـماواتِ متعلقـة، وفِكرهـم بأهـوال القيامـة مُقْبلة ومدْبرة، وأبدانهم من المخلوقين عَارية، فعَمُوا عن الدنيا، وصَمُّوا عنها، وعن ما فيها، ووضح لهم أمْر الآخرةِ حتَّى كأنهم إليها ينظرون[2]، فالحمد[3] لله ربِّ العالمين.



---

(١) في (أ): «حين».

(٢) مـن بدايـة الفقرة الثانية من هـذا الباب أورده أبو نعيم في حلية الأوليـاء (٩/ ٢٨٤) نقلا عن الأنطاكي.

(٣) في (أ): «والحمد».

باب في الغيبة والنميمة[١]

واعلم أن مَخْرج الغيبةِ إنما هو[٢] تزكية النفس والرِّضا عنها؛ لأنك إنما تنقَّصت غيرك لفضيلة[٣] وجدتها عندك، وإنما[٤] اغتبته بما ترى أنك منه بريء، ولم تَغْتبه لشيء[٥] إلا وما احتملتَ في نفسك من العَيْب أكبر[٦]، وإنما يَقْبلُه منك مِثْلُك، فلو عَقَلْتَ أنَّ فيك من النَّقْص أكثر لحجزك ذلك عن غيبتك[٧]، ولا استحييْتَ أن تغتابه بما فيك أكثر منه، ولو علمتَ أن جُرمك عظيم بغيبتك غيرَك، وظنك أنك مبرّاً من العيوب: لحجزك ذلك وأشغلك[٨] عن ذلك، وكيف وإنما يلقى الأمواتُ الأمواتَ، ولو كانوا أحياء إذن ما احْتَملُوا / ١٥ب/ ذلك منك ولتناهوا.

واعْلم أن مَيِّت الأموات[٩] أحمدُ في العاقبة مِن ميت الأحياء، **وتفسير ميت الأحياء: موتُ القلوب وهم أحياء في الدنيا**[١٠]، فمَن كانت هذه صفته، كَثُرتْ أوزارُه وعَظُمت بَلِيّته.

---

(١) «باب في الغيبة والنميمة» ساقط من (و).

(٢) في (أ): «هي من».

(٣) في (أ): «بفضيلة».

(٤) في (أ): «وإما».

(٥) في (أ): «بشيء».

(٦) في (أ): «أكثر».

(٧) في (أ): «غيبته».

(٨) في (أ): «ولشغلك».

(٩) في (أ): «الأحياء».

(١٠) قال ابن أبي شيبة في كتاب الأدب (ص: ٣٦٤): حدثنا محمد بن فُضيل، عن عاصم، قال: ما سمعت الحَسَن يَتَمثَّل ببيت شِعْر قط إلا هذا البيت: [البحر الخفيف]

ليس مَن مات فاستراح بميِّت … إنما المَيْتُ مَيِّت الأحياءِ

ثم قال: «صدق والله، إنه ليكون حَيًّا وهو ميِّتُ القلب».

وقال في مصنفه (رقم: ٣٨٧٣٢-٣٨٧٣٣): «حدثنا وكيع، عن سفيان، عن حبيب، عن أبي الطفيل قال: قيل لحذيفة: ما ميت الأحياء؟ قال: مَن لم يعرف المعروف بقلبه، ويُنكر المنكر بقلبه.

حدثنا وكيع، عن سفيان، عن قَيْس بن مسلم، عن طارق بن شِهاب، قال: قال عِتْريس لعبد الله: هلك من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر، فقال عبد الله: بل هلك من لم يعرف المعروف بقلبه وينكر المنكر بقلبه».

واحْـذر[1] يا أخي الغِيبـة كحذرك عظيم البلاء أن ينزل بـك، فإن الغِيبة إذا ثبتـت في القلب وأذن[2] صاحبها لنفسـه في احتمالها: لـم ترض بسـكناها حتى تُوسِّـع لإخوانها[3]؛ وهي النَّمِيمة، والبَغي، وسُوء الظن، والبُهتان، والكِبر، وما احتملها لَبِيبٌ ولا رَضِي بها حليم[4]، ولا اسْـتَصْحَبها وليُّ الله قَط، فإنا لله وإنا إليه راجعون.



(١) في (أ) كلمتان مطموستان لا يظهر من الأولى إلا الفاء والألف: «فا ...».

(٢) في (أ): «فأذن».

(٣) في (أ): «لأخواتها».

(٤) في (أ): «حكيم».

باب في التزيّن[١]

و[٢] رُوِي عن عبد الله بن مسعود[٣] أنه قال: «**العُقُول معادن للرَّائين، والعِلم دلالـةٌ على أعمـال الطاعة**[٤]**، والمعرفـة دلالة على آفات الأعمـال، والبصائر دلالة على اختبار عواقب الأمور واختبار مواردها وتَصريف مصادرها**[٥]

والتزيين اســم **لثلاثة**[٦] **معان**: فمُتَزيِّن بعلم، ومُتزيِّن بجهل، ومُتزيِّن[٧] بترك التزيين، وهو أعظمها فتنة، وأحبها إلى إبليس»[٨]./١٦أ/

واعْلم أن الأســاسَ الذي ينبغي للمُريد أن يبني عليه دِينه: معرفَتَه لنفســه[٩] وبزمانه وأهل زمانه.

فإذا عرف عيوب نفســه، وأراد مأخذًا يســلم به من شر نفسه[١٠] إن شاء الله: فليبـدأ بالخلـوةِ وإخمال النفـس[١١]، فلعله حينئـذ أن يُدْرك بذلـك الحزن في القلـب والخـوف الذي يحتجز بـه عما نهى الله عنه، والشَّـوق الـذي يُدرك به أملـه من محبة الله، وإلا لم يزل متحيِّرا متلـذذا متزينا بالكلام، يأنس بمجالس

---

(١) في (و): «باب التزيين»، وذُكر فيها بعد أثر ابن مسعود.

(٢) «و» ساقط من (أ). (٣) «بن مسعود» ساقط من (و).

(٤) في (أ): «الطاعات».

(٥) قريـب مـن هذا الكلام نسـبه أبـو نعيم في حلية الأوليـاء (٩/ ٢٨٧) لأبي عبـد الله أحمد بن عاصم الأنطاكي، وأورده الحارث بن أسد المحاسبي في كتاب فهم القرآن (٢٤٦-٢٦٦).

(٦) في (أ): «لثلاث».

(٧) «ومتزين» ساقط من (و). يُنظر حلية الأولياء لأبي نعيم (٩/ ٢٨٧).

(٨) نسب هذا الكلام أبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ٢٨٧) لأبي عبد الله أحمد بن عاصم الأنطاكي.

(٩) في (أ): «بنفسه».

(١٠) «وأراد مأخذًا يسلم به من شر نفسه» ساقط من (أ).

(١١) في (أ): «نفسه».

الوحشـةِ، ويثق بغيـر المأمون، ويطمئن إلى أهل الرّيـب، ويحتمل أهل الميل إلى الدنيا، ويغترّ بأهل الحرص والرَّغْبة، ويتأسى بأهل الضعف، ويستريح إلى أهل الجهل، ميلًا منه إلى هواه إلى أن يفاجئه الموتُ وحلول الندم.

وإذا وجدتَ المُريد المدَّعي للعمل والمعرفةِ يأنس بمن يعرف، ولا يهْرب ممـن لا يعرف، وينبسـط، ويُمكِّن نفسَـه من الكلام بيْن ظهـراني مَن يعرف: فاتَّهـمْ حالـه؛ إما ألا يكون صادقا في إرادته، أو يكـون جاهلا بطريق / ١٦ب/ سـلامته، أو مغلوبا على عقله وعمله، مُسـتحوذًا عليه هـواه، وما التوفيق إلا بالله العلي العظيم.

واعْلـم يا أخي علما يقينا لا شـك فيـه، أنَّا لم نَبْن أسـاس الدِّين على طلب السلامة فيه من الخطأ، ولا على حُسن السيرة منّا في الأخلاق والأدب[١]، ولكنا بنيناه[٢] على أسـاس الهـوى، وعلى ما خفَّ تحمله[٣] على قلوبنا، واسْـتَخفَّته أنفسـنا، واسـتحْلتْه ألسـنتنا، فأمضينا فيه أعمالنـا طمعا في الزِّيـادة من التقوى بزَعْمنا، ودركنا[٤] لحسْـن السـيرةِ منا في الأخلاق والآداب فنظرنا بعْد[٥]، فإذا قد رجع علينا أعمال آثار[٦] الهوى بالنقص من الزِّيادة في الدِّين، وتقبيح السيرة منا في الأخلاق والآداب بنظرنا لأمور الدنيا والآخرة[٧]، فورثنا ذلك الخِبَاء[٨]،

---

(١) في (أ): «والآداب».
(٢) في (أ): «ابتنيناه».
(٣) في (أ): «محمله».
(٤) في (و): «وذكرنا».
(٥) في (أ): «بعيد».
(٦) في (أ): «إيثار».
(٧) «والآخرة» ساقط من (أ).
(٨) في (أ): «الخـب». قـال ابـن فارس: «الخاء والبـاء والحرف المعتل والهمزة يدل على سـتر الشـيء، فمن ذلك خبأت الشـيء أخبؤه خبـأ، والخبأة: الجارية تخبأ، ومـن الباب الخباء؛ تقـول: أخبيـت إخبـاء، وخبيت، وتخبيـت، كل ذلـك إذا اتخذت خبـاء». مقاييـس اللغة (٢/ ٢٤٤)، مادة: خبأ.

والغش، والمداهنة، فصيَّرنا الغشَّ والمداهنة[١] مدارةً، وصيرنا الخِب[٢] عقولا وآدابا ومُروءات، يحتمل بعضنا على ذلك بعضا، فأعقبنا ذلك تباغضا، وتحاسدا، وتقاطعا، وتدابرا، فتحاببنا بالألسن مع الرُّؤية، وتباينا بالقلوب مع فقد الرؤية، نَذُمُّ الدنيا بالألسن، ونميل إليها بالقلوب والجوارح، ونُدافعها عنا في الظاهر بالقول، /١٧أ/ ونجرها بالأيد[٣] والأرجل في الباطن والظاهر، فأصبحنا مع قُبح قبول[٤] هذا الوصف وسَمَاجَتِه لا نَسْتَأهلُ به خروجا عن النقص ولا دخولا في الزيادة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، والله المستعان.

وأصبحنا لا نجد[٥] المرء صادقًا فنتأسَّى[٦] به، ولا خائفا فيلزمنا[٧] الخوف للزومه له[٨]، ولا محزونا يعقل الحزن فنباكيه، فقد صرْنا نَتَلَاهَى بفضول الكلام، ونأنس بمجالس الوحشة، ونقتدي بغيْر القدوة، مُصرِّين على ذلك غيْر مقْلِعِين ولا تائبين منه، ولا هاربين منْ مكر الاستدراج، فنعوذ بالله من التولي عن الله، والسُّقوط عن عين الله، والتشاغل بغيْر الله.

إن الله جل ذِكْره أوجب على نفسه للطاعة ثوابًا، وعلى المعصية عقابا، فالثواب لا يجبُ للعبْد على الله إلا من تصْحيح العمل وتخليصه من الآفاتِ، وتصحيح ذلك وتخليصه لا يتم إلا بالمعرفة والاعتزام على احتمال مؤنة تصحيح العمل، والاعتزام والاحتمال والصبر على العمل لا يكون إلا من بعْد ثبات الخوف في القلب، والخوف لا يوجد إلا /١٧ب/ من بعد[٩] ثبات اليقين في القلب، وثبات

---

(١) «فصيرنا الغش والمداهنة» ساقط من (و).

(٢) في الأصل: «الخِبْء»، والخب: الخداع، مقاييس اللغة (٢/ ١٥٧)، مادة: خب.

(٣) في (أ): «بالأيدي».

(٤) «قبول» ساقط من (و).

(٥) في (أ): «يجد».

(٦) في (أ): «فيتأسى».

(٧) في (أ): «فيلزمه».

(٨) «له» ساقط من (و).

(٩) «بعد» ساقط من (و).

اليقين في القلب[١] لا يكون إلا من صحة تركيب العقل[٢] في العبد.

فإذا صح تركيب العقل في العبد[٣] وثبت، وقع الخوف مما قد أيقن به، فجاءت عزيمة الصبر من غير تكلف، فاحْتملت النفس حينئذ مُؤنة العمل طمعا في ثواب ما قد أيقنت به، ورهبت عقاب ما قد أيقنت به[٤] على المعصية، فتركت المعصية والشهوة هربا من عقوبتها، واحتملت الطاعة بالإخلاص رجاء ثوابها، فكُلِّفَ الأحمقُ الكَيِّس، ولم يُعذر على لزوم الحمق.

وكُلِّف الجاهل التعليم، ولم يعذر على غلبة الهوى.

وكُلِّف العالـمُ[٥] الصدقَ والإخلاصَ والتَّيقُّظ في عمله[٦]، ولم يُعْذر على الشهوة[٧] والغفلة، وترك الإخلاص فيه.

وكلف القائلُ الصِّدْقَ في قوله، ولم يُعذر بالميْل إلى الكذب.

وكلف العاملُ[٨] الصادقُ المخلصُ الصبرَ على ابتغاء تعجيل ثواب عمله في الدنيا من المخلوقين مِن حب الدنيا والتكرمة والتعظيم.

وعندها انقطع العمل[٩] خاصة، وحلّ بهم الجزع، وتركوا عزيمة الصبر في طلبهم تعجيل ثواب أعمالهم، ولم يؤخروا ثواب الأعمال ليوم يُوفى الصابرون أجرهم بغير حساب، وخدعتهم الأنفس /١٨أ/ الأمارة بالسوء عن سِتْر سرائر أعمالهم، حتى أبدوها[١٠] للمخلوقين بالمعاني والمعاريض في إظهار الأعمال

---

(١) «في القلب» ساقط من (أ).
(٢) «العقل» ساقط من (و).
(٣) «في العبد» ساقط من (و).
(٤) «ورهبت عقاب ما قد أيقنت به» ساقط من (و).
(٥) في (أ): «العامل».
(٦) في (و): «علمه».
(٧) في (أ): «الشهوات».
(٨) في (أ): «القائل».
(٩) في (أ): «العمال».
(١٠) في (أ): «أندوه».

ليعْرفوا بفضيلة العمل؛ ليزدادوا عند الناس فضيلة ورِفْعة، فتعجلت أنفسهم دخائر أعمالهم، وحلاوة سرائرهم بحُسن الثناء والتكرمة والتعظيم، ووطء الأعقاب والرياسة[١] والتوسع لهم في المجالس.

وأغفلوا المساءلة في عقدهم لمن عملوا ولمن تزينوا، وثواب مَن أرادوا[٢] وماذا طلبوا، فخسروا أنفسهم و[٣] أعمالهم، وخسارة ما هنالك باقية، وندامة ما هنا طويلة، لَمَّا وردوا على الله فوَجدوا عظيم ما كانوا يُؤَمِّلون من ثواب سرائر أعمالهم[٤] التي عالجوا فيها أنفسهم في الدنيا، فمتعوها هنالك؛ لأنهم كانوا قد تعجلوا ثوابها في الدنيا[٥] من المخلوقين، وخرجوا من خيْر أعمالهم صفرا[٦]، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ما أقبح الفضيحة بالعالِم العامل البصير الناقد العارف عند قلة الصبر، وابتغاء تعجيل الثواب، والميل إلى الدنيا، وإيثار شهواتها ولذَّاتها.

فينبغي /١٨ب/ للعاقل الحازم اللبيب العالم العامل العارف البصير الناقد[٧] أن يحذر ذلك كلَّه، ويتخذ الصبر مَطيَّة، ولا يبتغي[٨] تعجيل الثواب ها هنا، وما التوفيق إلا بالله العلي[٩] العظيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) في (أ): «الرياسات».
(٢) «ولمن تزينوا، وثواب مَن أرادوا» ساقط من (أ).
(٣) «أنفسهم و» ساقط من (و).
(٤) في (أ): «سرائرهم»، وبعده بياض بمقدر كلمة.
(٥) «في الدنيا» ساقط من (أ).
(٦) في (و): «صبرا».
(٧) «الناقد» ساقط من (أ).
(٨) في (أ): «ينبغي».
(٩) «العلي» ساقط من (أ).

باب في الطمع

وانظـر يا أخـي: أن[١] لا تأذن لقلبك في اسـتصحاب ما يعْسـر عليك طلبه، وتخـاف إطفـاء نور القلب من أجْله، وكُنْ في تأليف مـا بيْنك وبيْن الله محمود العاقبة، واقطع أسـباب الطمع يسـتريح[٢] قلبك إلى عيـن[٣] الإياس، فإماتة[٤] الطمع يسـد عنْك سـبيل الفقر، ويسـكن قلبك عن الغنى، ويسْقط عنك بذلك التشاغل عن المخلوقين[٥].

واسْـتجلبْ حلاوة الزُّهادة بقصر الأمل وقطْعـه، واطلبْ راحة البَدن بإحجام القلب عن التشـاغل برؤية المخلوقين، وتعرض لرقة القلب بدوام مجالسة أهل الذِّكـر من أهل العقول والمعرفة، وحُسْـن الأدب، التاركين لفُضول الكلام، فإن بمجالسة هؤلاء يَصْفو القلب ويرق، ويُقدح فيه النورُ، وتجري فيه ينابيع الحِكمة.

وافتـح باب دوام[٦] الحزن / ١٩أ/ إلى قلبك، واسْـتفتح بابـه بطول الفِكر، واسـتجلب الفكرة[٧] بالتوحش مـن الناس، فإن أبْوابهـا في مواطن الخلوات، وتحرَّز من إبْليس بالخوف الصادق، واستعن على ذلك بمخالفة هواك.

وإياك والرَّجاء الكاذب، فإن التوسـع فيـه ينزلك بمحلة المُصِرين من أهل المَكْر والاستدراج.

وذلـك أن للرجـاء طُرقـا تؤدي إلى الأمـن والغفلة، فإيـاك أن تتخذه مَطيَّة لشيء من سفرك[٨].

---

(١) «أن» ساقط من (و).
(٢) في (أ): «فيستريح».
(٣) في (أ): «ويصير إلى عز».
(٤) في (و): «فإصانة».
(٥) في (أ): «بالمخلوقين».
(٦) في (أ): «دواعي».
(٧) في (أ): «الفكر».
(٨) في (أ): «لسفرك».

وتخلص يا[١] أخي إلى عظيم الشكر باستكثار قليل الرزق مع كثرة[٢] الرضا بذلك، واسْتقلل كثير الطاعة، واسْتَجلب النِّعم بعظيم الشكر، واسْتَدم عظيم الشكر بخوف زوال النِّعم، واطْلب لنفسك العز بإماتة الطمع، وادْفع ذل الطمع بعز الإياس، واسْتَجلب عز الإياس بِبُعْد الهِمَّة، واسْتَعن على بُعْد الهِمَّة بقصر الأمل.

وبادرْه باغتنام الصِّحة[٣] عند إمكان الفرصة، خَوْف فواتِ الإمكان، ولا إمكان[٤] كالأيام الخالية مع صحة الأبْدان، واحذر «سَوْفَ»، فإنَّ ما دونه يقطع بك عن بُغْيتك.

وإياك /١٩ب/ يا أخي[٥] والتفريط عند إمكان الفُرصة، فإنه ميدان يجر[٦] لأهله الخسران.

وإياك والثقة بغيْر المأمون، فإنَّ للشر ضراوةً كضراوة الأسد[٧] الضاري، ولا مَحْمل[٨] كطلب السلامة، ولا سلامة كسلامة القلب، ولا عمل كمخالفة الهوى، ولا مصيبة كمصيبة فَقْد[٩] العقل، ولا عدم كقِلَّة اليقين، ولا جهاد كجهاد النفس، ولا غلبة كغلبة الهوى، ولا قُوةَ كرَدِّ[١٠] الغضب، ولا معصية كحُبِّ النفاق، وإن حُبّ الدنيا كحب[١١] النفاق، ولا طاعة كقصْر الأمل، ولا ذُلّ كالطمع[١٢].

---

(١) في (أ): «أي».
(٢) في (أ): «كثير».
(٣) في (أ): «بانتهاز النعمة».
(٤) في (أ): «والإمكان».
(٥) «يا أخي» ساقط من (و).
(٦) في (أ): «يجري».
(٧) في (أ): «الإناء».
(٨) في (أ): «ولا عمل».
(٩) «فقد» ساقط من (أ).
(١٠) في (أ): «كردك».
(١١) في (أ): «من حب».
(١٢) من قوله: وتعرض لرقة القلب إلى هذا الموضع نقله أبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ٢٨٧) عن أبي عبد الله أحمد بن عاصم الأنطاكي.

فوفقنا الله وإياك لما إليه دعانا، وأعاننا وإياك على اجتناب ما عنه نهانا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



باب في الصِّدْق

واعْلم يا أخي عِلْما يقينا لا شك فيه: أن الصادقَ لا يكذب أهْله، ولا يألُوهم نصحا في الصدق[١] في ارتياده لهم، فإنَّ أخاك مَن صدَّقك ونصحك وإن خالف صِدْقُه ونُصْحه هواك، وإنَّ عدوّك مَن كذَّبك وغشَّك وإن وافق ذلك هواك.

واعلم يا أخي أني[٢] لمَّا أطلت الفِكْرة، وصححت / ٢٠أ/ في ذلك النظر: علمتُ أن الله جل ثناؤه بارئ النسم، وولي النِّعم، ومالك النِّقم، لم يخلقني وإياك عبثا، ولا هو[٣] تاركي وإياك سُدى، فإن[٤] لي ولك ميعادًا[٥] نقف فيه بيْن يَدَيْ الملك الجبَّار للحكم بيننا وللفصْل فينا، وأنه لم يخلقني وإياك حين خلقنا لهزل ولا للعب ولا لفناء دائم، وإنما خلقنا لبقاء الأبد ودوام النِّعم في جواره وجوار ملائكته وأنبيائه، أو في الشقاء الدائم للأبد.

فعاقل[٦] يتيقّظ لِمَا خُلق له[٧]، مستعدًا لما هو صائر إليه، فانتَبَه من رقدته، وأفاق من سكرته، فعمل وحذر وأبْصر، فزجر النَّفْس عن دار الغرور، الخاذلة، الخاذعة[٨]، الزائلة التي قد وَلَّتْ بخدعتها، وفتنت[٩] بغرورها، وتشوفت بحُطامها، فلما عرفها العاقل الكيس حق / ٢٥ب/ معْرفتها، زهد فيها، ورغب في دار البقاء والسرور، وتقرب إلى مالك الدار بجميع ما يحب، مما يطيق[١٠] التقرب به إليْه ورَتَب ببابه، وأما المغتر بالدنيا المؤْثِر لهواه فيها فهو معتنقها.

---

(١) «في الصدق» ساقط من (أ).
(٢) «أني» ساقط من (و).
(٣) «ولا هو» ساقط من (و).
(٤) في (أ): «وأنَّ».
(٥) في (أ): «معادا».
(٦) في (و): «فعاقلا».
(٧) في (و): «خلق الله له».
(٨) في (و): «العاذلة».
(٩) في (أ): «وفنيت».
(١٠) «مما يطيق» في (و): «ويحب».

أيها الميت عن قريب[١]، والمبعوث بعد موته إلى دار المقامة، والمسؤول عن إقْباله وإدْباره في دار الدنيا، الموقوف[٢] عن قليل بيْن يدي الملك الجبار الذي لا يجور؛ هل أعددت لذلك الموقف حجة تجاحش عنها[٣]، وأعددت للسؤال جوابا، فإن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥ ﴾ [القمر:٤-٥].

وإياك يا أخي والنزول بمحلة المخدوعين.

واعلم أن نِعَمَ السيد الكريم كثيرة لا تحصى[٤]، وأن عطاياه كثيرة لا تجازى، وأن مواهبه[٥] كثيرة لا تكافى[٦].



---

(١) في (و): «قليل». (٢) في (و): «والموقف».

(٣) أي تدافع عنها. ينظر مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٤٢٧)، مادة جحش.

(٤) قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل:١٨].

(٥) في (و): «ماهبه».

(٦) تتمة هذا الباب توجد في (و) في آخر باب في العقل.

باب الخلْوَة[١]

ثم نظرتُ في ذلك: فلم أر شيئا أقربَ إليه و[٢] لا أجمع لذلك كلِّه من حمية النفس[٣] عن إلفها، وقطع مجاورة المخلوقين؛ بمنع القلوب عن الأخْبار التي بها تهيج القلوب من الأشغال القواطع عن التفرُّغ للحزن[٤]، والبحث عن أمْر الآخرة، والتَّرك للدنيا وما فيها، فورَّثه ذلك حُبَّ الخلواتِ، فأحبَّها ولزمها، وسُرَّ بها، واسْتَوحش من المخلوقين.

وذلك حين جرَتْ عذوبةُ الخلوة في أعضائه كما يجْري الماء في أصل الشجرة، فأورقتْ / ٢١أ/ أغصانها، وأثمرت عيدانها، ولزم خوف ما تجيء به القيامة سُوَيْداء قَلْبه، فهاج له مِن الخلوة فنون من أصول[٥] الزهد في الدنيا، حتى لو أنه اجْتهد في فنّ منها على أن يستحكم له لعظُمت عليه المؤنة، واشْتَدَّ عليه فيه الصَّلاحُ، فإذا بلغ الله بالعبْد هذه الدَّرجة حُبِّبَتْ إليه الخلوة.

فأوَّل ما يستفيد من حُب الخلوة: راحة للقلب من هموم[٦] الدنيا، وترك معاملة المخلوقين في الأخْذ والعطاء، ومخرج ذلك كله[٧] من صحة العقل، فأسقط عن نفْسِه بالخلوات **وجوبَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، ومداهنة المخلوقين، ويحبب إليه بالخلوة خمول النَّفس، وإخمال الذِّكر في الناس؛ وهو طريق الصِّدْق، ومنه يكون الإخْلاص.

ويُحبَّب إليه بالخلوة الزهد في معرفة الناس، والأنس بالله، ويُوهب

---

(١) «باب الخلوة» ساقط من (أ).
(٢) «و» ساقط من (و).
(٣) في (أ): «الأنفس».
(٤) «للحزن» ساقط من (و).
(٥) «من أصول» ساقط من (و).
(٦) في (أ): «غموم».
(٧) «كله» ساقط من (و).

إليه[١] استثقال المخلوقين حتى يَفرَّ منهم فراره من الأسد، وهو غيْر مفارق لجماعتهم.

ويُعْطى مِنْ حُب الخلوة طول الصَّمْتِ من غيْر تكلفٍ، وغلبة هواه بالصبر، ومن الصَّمْت والصَّبْر غلبة الهوى.

ويُعْطى / ٢١ب/ منْ حُبَّ الخلوة الاشتغال بأمر نفسه، وقِلَّة اشتغاله بذكر غيره، وطلب السلامة مما فيه الناس.

ويُعْطى بالخلوة كثرةَ الهُموم والأحزان والفِكر، وهذه الخصال من أفضل العبادةِ، ومخرجها من خالص الذِّكر.

ويُعطى بالخلوة الأعمال التي تغيب عن عيون[٢] العِبَاد، وتظهر لِرَبِّ العِبَاد والبلاد، وقليلُ ذلك كثير، ومخرج ذلك من الصِّدق.

ويُعطى بالخلوة التَّيقُّظ من غفلة أهل[٣] الدنيا، وما يذكر منها الخاص والعام.

ويُعطى بالخلوة ترك الرِّياء والتَّزيين، وكل ذلك من دواعي الإخلاص؛ وهو محض الصِّدْق.

ويُعطى بالخلوة قِلَّة[٤] المِرَاء وترك الخصومة[٥] والجدال، وذلك ينْفي حبَّ الرِّياسة من القلب.

ويُعْطى بالخلوة قِلَّة الخُلْف في المواعيد، والتَّوقّي من الكذب والأيمان والحِنْثِ فيها، ومَخْرج ذلك من الصدق.

---

(١) في (أ): «له».
(٢) في (أ): «أعين».
(٣) «أهل» ساقط من (و).
(٤) في (أ): «ترك».
(٥) ورد في (أ) بعد ذلك كلمة لم نتبينها لعلها «الجميع».

ويُعطى بالخلوة قِلَّة الغَضَب، والقُوَّةَ على كَظْم الغيظ، وتَرْك الحِقْد والشحناء[١]، ومعاملةَ الخلق بسلامة الصُّدور.

ويُعطى بالخلوة رِقَّة القلب والرَّحْمة، وهما يَنْفِيَان / ٢٢أ/ الغِلظة والقساوة، وهما من دواعي الخوف.

ويُعطى بالخلوة تذكر نِعم الله عليه وإحسانه إليه، وطلب الشكر والزِّيادة.

وبالخوف الثابت في القلب يَخْشع العبد، ويبكي من خشية الله والنار[٢]، وهي من غايات العبادة[٣].

ويُعطى بالخلوة وُجُودَ حلاوة العمل، والنشاط في[٤] الدعاء، ويَجري ذلك من القلب مع تَضَرُّع واستكانةٍ.

ويُعْطى بالخلوة القُنُوع والتوكل والرِّضا بالكفاف؛ للعفاف والاستغناء عن المخلوقين[٥].

ويُعطى بالخلوة عُزوف النَّفْس عن الدنيا وشهواتها وفتنتها[٦]، والشوق إلى لقاء الله، ومَخْرج ذلك من حُسْن الظن بالله، وخوف التَّقْصير في العمل.

ويُعطى بالخلوة حياةَ القَلْب، وضياء نُوره، ونفاذ بصره في عيوب الدنيا، ومعرفته بالنقص والزِّيادة في دِينه.

---

(١) في (و): «الشحنى». (٢) في (أ): «والنهار» وصححت في الهامش.

(٣) «بالخوف الثابت ... من العبادة» ساقط من (و)، وتكرر في هذا الموضع في (أ) الجملة السابقة لهذه الفقرة حيث ورد فيه: «ويُعطى بالخلوة تذكر نعم الله عليه ...والزيادة من الطاعة».

(٤) في (و): «و».

(٥) «ويعطى بالخلوة القنوع ... المخلوقين» ساقط من (و).

(٦) في (أ): «وفتنها».

ويُعطى بالخلوة الإنصافَ للناس مِن نَفْسِه.

ويُعطى بالخلوة خَوْف وُرُود الفِتن التي فيها ذَهَابُ الدِّين، والاشـتياق إلى المـوت، **والأُنــس بكلام ربِّ العالميــن، وهو القرآن**؛ لِمَا قـد وَجَد من حلاوة المناجاة، والقرآن هو الذي جعله الله نورا وشِفَاء للمؤمنين[1]،[2].

فإذا الْتَبس عليك الطريق[3]، واشـتبهت عليك الأمور، فأوقفت[4] نفسـك علـى دلالة[5] من الترغيب والترهيب والتشـويق / ٢٢ب/ إلـى ما ندبَ الله إليه المؤمنيـن: **فإنك** ترجـع بصيرًا من عِبْرتك[6]، وعالما مـن جهالتك، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العلي العظيم.

وانظـر إلـى كل مَوطن يضطـرك إلى الصَّبْـر فاهربْ منه، فإنـك تعجز عن القيام به.

واعلم أنه لا يثبتُ لك قدم على مَحجَّة دِينٍ وفيك **خوفان**:

خوف[7] **الفقر مع الغنى والثروة**: فإن في[8] ذلك مفتاح فقْر الأبد[9].

---

(١) قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

(٢) هـذا البـاب كله من كلام نصر بن يحيى بن أبي كثير كمـا جاء ألفاظ متقاربة في كتاب العزلة والانفراد لابن أبي الدنيا (٧٨-٨٠).

(٣) في (أ): «طريق».

(٤) في (أ): «فأوقف».

(٥) في (أ): «دلالته».

(٦) في (أ): «حيرتك».

(٧) في (و): «فإن».

(٨) «في» ساقط من (و).

(٩) كـذا في الأصـول الخطيـة، وفي كتاب بهجـة النفـوس (٢/ ١٥٠-١٥١): «قـال يمن برزق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يثبت لك قدم في محجة وفي قلبك: خوف الفقر أو الغنى وحب المنزلة والرياسة، فذلـك مفتـاح فقر الأبد»، وقريب منه ما نقله ابن الحاج عن يمن بن رزق في كتاب المدخل (٣/ ٨١) حيـث قـال: «واعلـم أنـه لا يثبت لك قدم علـى محجة ديـن الله، وفيك خوفان: خوف الفقر، وخوف الغنى والثروة؛ فإن ذلك مفتاح فقر الأبد».

وخوفك **للسقوط من أعْين الناس**: يُسقطك من عين الله، ويُنْسيك حظك منه.

فادْرأ ذلك عنك، واطلب التخلص، واعْدُد لذلك خوفين: **خوفا أن مثلك لا يَسْتأهِل أن يبلغ ما يأمل**[١] **من الآخرة**، فإن تفضَّل عليك ببلوغ أملك من الآخرة، فأتْبِعه الشكر، **ولتحضره خوفا شديدًا أنك لا** تقومُ بالشكر بما[٢] أنعم به عليك كما ينبغي، فإن لم تفعلْ ذلك خِفْتُ عليك أن تُسْلب النِّعمة، وترجع إلى أسْوإ حالك.

فإذا ألزمَ العبدُ نفسَه هذين الخوفين[٣]، وتَمسَّك بهما: رجوت أن يُؤمنه الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقد رُوي عن **بعض العلماء** / ١٢٣أ/ بالله أنه قال: «**لستُ آمنُ على نفْسي الفتنة، وأن يُحال بيْني وبيْن الإسلام**»[٤]، فهؤلاء يخافون هذا وهم الصَّفْوة الذين اختارهم الله تعالى لنبيه ﷺ، خافوا مع سابِقتهم وطاعتهم وجهادهم مع رسول الله ﷺ، أن يهجم عليْهم أقل مما أنتَ فيه من الفتنة، فيحول ذلك بينهم وبين ما كانوا يَعرفون.

---

(١) في (أ): «يؤمل». (٢) في (أ): «لما».

(٣) في (أ): «الخلقين».

(٤) أخرج ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين (رقم: ١٣٥) عن عيينة بن عبد الرحمن قال: حدثني أبي: أن أبا بكرة لما اشتكى عرض عليه بنوه أن يأتوه بطبيب، فأبى، فلما ثقل وعرف الموت من نفسه وعرفوه منه قال: أين طبيبكم ليردها إن كان صادقا؟ قالوا: وما يغني الآن؟ قال: ولا قبل، قال: فجاءت ابنته أمة الله، فلما رأت ما به بكت، فقال: أي بنية، لا تبكي، قالت: يا أبتاه، فإن لم أبك عليك فعلى من أبكي؟ قال: لا تبكي، فوالذي نفسي بيده، ما في الأرض نفس أحب إلي أن تكون خرجت من نفسي هذه، ولا نفس هذا الذباب الطائر، ثم أقبل على حمران -وهو عند رأسه-؛ فقال: ألا أخبرك لماذا أخشيته؟ والله إن أمر فيحول بيني وبين الإسلام.

وذُكـر عن النبـي ﷺ فيما يرويه عن ربـه تعالى أنه قال: «**قـل لأهل محبتي يشـتغلون بي، فإذا علمـت أن الغالـب على قلوبهم الاشـتغال بي[١] والانقطاع إلـيَّ، كان حقيقا علـي أن أرْفـع الحُجب بيْنـي وبيْنهم، فينظرون إلـيَّ بأبصار قلوبهم، فهم يتنعمون بذكري، قد أغناهم عن كل نعيم من نعيم الدنيا والآخرة، قد ملأ الله قلوبهم وأسْـماعهم وأبصارهم وجوارحهم من حُبه، فأَدَّبوا أنفسهم بالعبودية والدخول في محبته**».

وذلك أنَّ تأديب الرجل نفْسه في مَطْعمه وملْبسه يزيد في صلاح قلبه، وتنقادُ جوارحه لقلبه، ويقوى عزمه، ويقهر هواه، فيقوم / ٢٣ب/ عند[٢] ذلك مقام أهل القوة إلى أن يرفعه الله إلى منزلة فوقها، حتى يسْتوي عندهـم الأخذ والترك، فلا يأسفوا على ما فاتهم، ولا يفرحوا بما آتاهم؛ للغنى الذي وقر في قلوبهم، فهم[٣] يزدادون له محبةً ومودَّةً وشـكرًا لـه[٤] في العلم[٥] به والمعرفة له[٦]، فعند ذلك رقّـت قلوبهم، وانقـادت أهواؤهم إلى ما قلَّ من الدنيا وكفى، لا تطلع إلى غيْر ذلـك، ناظرين إلى ربهم في أمورهـم كلِّها، لا إلى الأسـباب نظرهم[٧] من غيْر تفريط في إقامة الأسـباب الخالصة من أعمال البِر، فإن لبسـوا خشنا أو لينا، أو حسـنا أو قبيحا، أو أكلوا طيبا أو كريها، أو حُلـوًّا أو مُرّا[٨] أو حامضا، أو قليلا أو كثيـرا: لم يتغير[٩] ذلك مـن قلوبهم عن[١٠] الحال التي هم[١١] عليها مِن ذِكر ربهم وتعظيمه.

---

(١) في (و): «في».
(٢) «عند» ساقط من (و).
(٣) «فهم» ساقط من (أ).
(٤) «له» ساقط من (و).
(٥) في (و): «بالعلم».
(٦) في (أ): «به».
(٧) في (و): «نظرا».
(٨) «أو مرا» ساقط من (و).
(٩) في (و): «يغير».
(١٠) في (أ): «على».
(١١) في (أ): «هي».

وذلك أنَّ قلوبهم عامرة من ذِكْر الخالق، وليس لشيء سواه في قلوبهم ثبتَ إلا بالخاطر من غير أن يرسخ أو يثبت، فلم يقيموا بيْن[1] الناس مقاما أشرف من أن يعلّقوا قلوبهم بربهم، ولا أولى بهم من ذلك؛ لأنهم أشد الناس محافظة على جميع همومهم في صلاتهم، وجميع ما يتقربون /٢٤أ/ به من ربهم؛ إن قاموا عرفوا بيْن يديْ من هم قيام [له][2]، وكذلك إن ركعوا وسجدوا، أو تلوا القرآن أو دعوا ربهم، لا تعزب قلوبهم عن ذلك، فيه زَكتْ أعمالهم وصُوبت قلوبهم[3]، فهو يتعاهدهم بلطفه ويَسوسهم بتوفيقه، فقلَّ عند ذلك خطؤهم، وكثُر صوابهم.

فمن كان يريد الدخول في محبة طاعة[4] الله فلا يكون[5] له ثقة إلا الله، ولا غنى إلا به، ولا أمل غيْره يرجوه، ويتخذه وكيلا في أموره كلِّها، راضيا بقضائه فيما نقله إليه من أمره، راضيا باختيار الله له، متهما لرأيه ولِمَا تهواه نفسُه، مُسَلِّما راضيا عن الله، غيْر مُتَجبِّر ولا مُتَملِّك فيما أحدث الله له من حلاوة الإيمان.

فكيف بك يا مسْكين لا سابقة لك إلا في الشَّر، ولا حلاوة عرفتها قديما بحق[6] الإسلام إلا حلاوة المعاصي، و[7]أنت بَارِك في دولةِ الفتنة وزمان الشِّر تحب البقاء طمعًا في الزِّيادة، وأنت مع ذلك لا تنقم[8] عليها حُبَّها، فخدعتك وأنت لا تعْلم أنك مخدوع.

واعلم أن المطيعَ إذا كان غيْر عالم بما يلزمه من الطاعة في عبادة ربه، ولا عارف /٢٤ب/ بمكايدة عدوِّه: هَانَتْ على إبليس صرعتُه؛ لأنه ليس نوْعٌ من

---

(١) في (أ): «فلم يقم».
(٢) زيادة يقتضيها السياق.
(٣) في (أ): «عقولهم».
(٤) «طاعة» ساقط من (و).
(٥) في (أ): «يكن».
(٦) في (أ): «من».
(٧) «و» ساقط من (و).
(٨) في (و): «تنعم».

العبادة إلا ولها ضِدٌّ من الفتنة، فمن لم يَعْرف الخير وضِدَّه من الشَّر، ولا سيما مـن[١] العبادة خاصةً، ثم اجتهد: خلَّاه[٢] إبليسُ وإيَّاها؛ لِمَا يعلم مِن قِلَّة عِلْمه بعبادته وما يجب عليه فيها، ولم يعْرض له في نفس عبادته بشيء، ويَقصدُ له قَصْد آفتها التي تُبطل عبادتَه من شهوة النُّفوس التي تسارع في قَبول ذلك، فتزين[٣] عنده أن ذلك مِن خيْر عندها، وأنه سيُجزى ويُثاب، فيُصدِّقُها بما تُلقي إليه من ذلك، فتزهو النفس[٤] لرضا صاحبها عنها، ويُحقق إبليسُ ظنه به وبالخداع له، فإذن قد صُرع وخُذل ووُكِّل[٥] إلى نفْسه بميْله عن طريق الشُّكر، ويظهر له من فتنة عدوِّه ما يستصغرُ به المخلوقين، وتكون نفْسه عنْده أنه لا عدْل لها زكاة[٦] وطيبا، وهي أخبثُ الأنفس وأنْتنها وأسقطها من عيْن الله تعالى.

فكلما سوَّلتْ له نفْسُه من عمل احْتمل فيه الأذى مع مساعدته إيَّاها، وشدَّة رضاهُ عنها من تَحَمُّل لُبْس الخَشِن، وأكل الجشم[٧]، وطول السَّهر، والصَّبْر على ظاهر العبادة بما[٨] يَفْتِن به النُوكى[٩]، ويسْتميلُ / ١٢٥/ به إبليسُ قلوبَ الجُهال.

ولقد قال **بعضُ الحُكماء**: «إني لأعُدُّ بعضَ[١٠] كلامي فيما لا بُدَّ لي منْه مصيبة واقعة أسْتعين الله على السَّلامةِ منها، وإني لأعُدُّ صَمْتي عمَّا لا يعنيني

---

(١) في (أ): «في».
(٢) في (و): «خلاوة».
(٣) في (أ): «فيتزين».
(٤) في (أ): «النفوس».
(٥) في (أ): «ولجأ».
(٦) في (أ): «زكاء».
(٧) في (و): «الحشب»، في المدخل لابن الحاج (٣/ ٨٢): «وأكل الطعام الجشيم»، والجشم: حبة سوداء شبيهة بحبة العدس الصلبة، تكملة المعاجم العربية (٦/ ٣٠٤).
(٨) في (أ): «ما».
(٩) في (و): «النوك»، قال ابن فارس: «النون والواو والكاف كلمة واحدة، هي النَّوَاكَة والنُّوكُ وهي الحُمْق، ورجل أَنْوَكُ ومُسْتَنُوك، وهم نَوْكَى»، مقاييس اللغة (٥/ ٣٧٢)، مادة: «نوك».
(١٠) «بعض» ساقط من (أ).

غُنمـا وإحداثَ نِعْمة ألتمسُ الشـكر عليها؛ إذ[١] علمـتُ أن من وراء كلِّ كلمةٍ رقيبا عتيدا[٢]، وأُنزِّل ما اضْطُررت[٣] إليه من القول مصيبةً نازلةً، وما كُفيت من الكلام غنيمة باردةً»[٤].

ويُـرْوى عن **بعـض الحكماء** أنه قال[٥]: «إن مِن شَـرِّ مكْسَـبة الدِّين والدنيا تنقص العَبْد غيْرَه والوَقِيعة فيه؛ وهي الغِيبة».

ويُقال: «إنها تُفطر الصائمَ، وتَنقضُ الوضوءَ، وتُحبط الأعمالَ، ويَسـتوجبُ بها صاحبُها المقتَ من الله تعالى»[٦].

والغيبة والنميمة مخرجهما من طريق البَغْي، والنَّمام قَاتِلٌ، والمُغتابُ آكل ميتـة، والمُبَاهِـي مُتكبّر، وهـؤلاء الثلاثة أَمْرهم واحدٌ؛ بعضهـا مفتاح لبعض، وذلك كلُّه مجانب لأحوال المتقين[٧].



---

(١) في (و): «إذا».

(٢) قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨].

(٣) في (و): «اضطرت».

(٤) في (و) بعد هذا مباشرة عنوان موسوم بـ«باب الغيبة».

(٥) «أنه قال» ساقط من (و).

(٦) الكلام نفسه في حلية الأولياء (٩/ ٢٩١)، وبعضه في قوت القلوب لمكي بن أبي طالب القيسي (٢/ ١٨٩)، والذريعة إلى مكارم الشريعة (٢٠٠).

(٧) «آكل ميتة ... لأحوال المتقين»: هذا الكلام مذكور في (و) في باب الحزن.

باب في العقل[1]

واعلـم يا أخي أني لـم أرَ نعمة متقدمة من الله عَزَّوَجَلَّ لخلقـه أفْضل من **نعمة العقـول**؛ التي جعلهـا الله دلالة لخلقه على معْرفتـه، والوصول بها إلى محْض الإيمـان بـه[2]، والـذي أطلعهم الله بـه على مكنـون علمه حتى ورثـوا / ٢٦أ/ البصائر، ونفوا به خاطر الشـك، وكابدوا وسـاوس الشـيطان ومعارض فتنته، واسـتضاؤوا[3] بنـور العقول[4] في طريق حيرتهـم فتجنبوها، وخرجوا من ظلم الشـك، واعتقدوا بهـا معْرفة الله عَزَّوَجَلَّ، والإيمان بـه، والإخلاص، والتوحيد، وأفردوا الله جل ثناؤه[5] وتقدَّسَتْ أسْماؤه بالربوبية، والعظمة، والكبرياء.

واعلم أن أهل اللب اسـتدلوا به[6] على خَلْق أنفسـهم، وعلى خَلْق الخَلْق كلِّهم أنهم موسـومون بسِـمَة الفِطْرة، وآثـار[7] الصَّنْعة، والنقـص والزيادة مع تغيير الأحوال.

فـأوَّل ابتداء الله لهم: أنْ وهبَ لهم العقول التـي بها وصلوا إلى الإيمان به، وبالإيمان به[8] وصلوا إلى نور اليقين، وبنور اليقين وصلوا إلى خالص التفكر، وبخالص التفكر وصلوا إلى اسـتقامة القلوب، وباسـتقامة القلوب وصلوا إلى الصِّـدق في الأعمـال وإخلاصهـا لله عَزَّوَجَلَّ، فورثهـم ذلك البصائـر في قلوبهم، فوضحت الحِكمة في صدورهم، وجرتْ ينابيعها على ألسنتهم، فهجموا بفطن قلوبهم على غوامض الغيوب بالإرادة والإخلاص / ٢٦ب/ الذي رُكّب فيهم.

---

(١) «باب في العقل» ساقط من (أ).
(٢) «به و» ساقط من (و).
(٣) في (أ): «واستضوا».
(٤) في (أ): «العقل».
(٥) في (أ): «جَلَّجَلَالُهُ».
(٦) «به» ساقط من (و).
(٧) في (أ): «وإيثار».
(٨) «به» ساقط من (و).

وأدركوا بصفاء نيتهم غوامض[(١)] الفهْم، وأدركوا بغامض[(٢)] فهمهم العلم المحجوب، فعرفوا الله حق معرفته، وتوكلوا عليه حق توكله، وسلموا لله الخلق والأمر، فصارت قلوبهم معادن لصفاء[(٣)] اليقين، وبيوتا للمعْرفة[(٤)]، وتوابيت للعصْمة[(٥)]، وخزائن للقدرة، وينابيع للحِكمة.

فَهُم بيْن الخلائق مقبلون[(٦)] ومدبرون، وقلوبهم تجول في الملكوت، وتلذذوا بحجب الغيوب[(٧)]، وتخطر في طرقات الجنان قلوبهم، فالحمد لله الذي لا إله إلا هو العلي[(٨)] العظيم الذي مَن والاه نعمه أغناه[(٩)].

واعلم يا أخي: أن من صَدَق الله أوصله إلى الجَوَلان في ملكوت السماوات بقلبه، ثم يرجع إليه بطرف ما قد أفاده[(١٠)] السيد الكريم، فصار قلبه وعاء لخير لا ينفد، وعجائب فِكْر لا تنقضي، ومعادن جواهر لا تَفْنى، وبُحُور حِكمة لا تنزح أبدًا، ومع ذلك ملك[(١١)] الجوارح والأبدان.

واعلم يا أخي أن في ابن آدم مضغة إن صلحت صلح سائر جسده، وإن فسدت فسد سائر جسده، / ٢٧أ/ وهي القلب[(١٢)].

---

(١) في (أ): «يقينهم غائص». (٢) في (أ): «بغائص».
(٣) في (و): «معادين صفاء». (٤) في (أ): «بيوتا للحكمة»، دون واو العطف.
(٥) في (أ): «للعظمة». (٦) في (و): «مقبولون».
(٧) في (أ): «بمحجوب القلوب»، وفي هامشها: (خ: الغيوب).
(٨) «العلي» ساقط من (أ). (٩) في (أ): «وأغناه».
(١٠) في (و): «أفاده». (١١) في (أ): «ملوك».
(١٢) أخرج البخاري في صحيحه (رقم:٥٢) واللفظ له، ومسلم في صحيحه (رقم:١٥٩٩) عن النعمان بن بشير، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ، لا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ** =

واعلم أنه لن يستقيم إيمان عَبْد حتى يستقيم قلبه ولسانه، ومن أجْل ذلك صار القلب واللسان ملكي البدن والجوارح، وهي القائمة على سياسة الأبدان والجوارح[١]، والقلب هو المسلَّط على استخدامهم، وذلك أنه معْدن العقْل والعلم والعِناية، فجميع الخيْر والشر مُستودَع القلب.

واعلم يا أخي أني وجدت اللسان مُتَرجما عن القلب إرادتَه، وذخائرَ بصائره، ووجدت الذِّكر جلاءَ صدأ القلوب، وتيقظا مِن سِنَة الغفلة[٢].



= حِمَى اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».

(١) «وهي القائمة على سياسة الأبدان والجوارح» ساقط من (و).

(٢) في (أ): «من وسن الأقيدة».

باب في الشُّكر[1]

واعلم أني وجدتُ الشُّكر على من اختصه الله بتدبير[2] العقل أكثر، والحجة عليه أوكد[3]، فمن ها هنا ألزم الحجة، وانقطعت المعاذير مع الإعذار والإنذار، ولله[4] الحجـة البالغـة علينْا، وعلى أهْل العقول من خلقـه، وما نعرف[5] أحدا أوتي إلا مِـن قِبَل تضييع الشـكر؛ لأنـه ليس من ولد آدم أحـدٌ إلا وهو مختص بنعمة العقل إلا قليل.

فمنهم مَن كثر له وأكثر[6] الشكر عليه.

ومنهـم مَـن أُعطي من العقل دُون [ذلك]، فشـكر الله علـى قليل ما أُعْطي، فزاده الله حتى علا / ٢٧ب/ في درجة العقل.

ومنهم من كفر النِّعمة فلم يأخذها بشكر، فنقص عن درجته؛ غير أن العبد قد أعظـم الله عليـه النعمة في العقل[7]، فينبغي أن يكون شـكره[8] على قَدْر عظيم النِّعْمةِ عليه.



(١) في (أ): «باب في العقل»، وقد مر هذا الباب من قبل.
(٢) في (أ): «بتوفير».
(٣) في (أ): «آكد».
(٤) في (أ): «فلله».
(٥) في (أ): «أعرف أن».
(٦) في (أ): «حثي له وأحثى».
(٧) «ومنهم من كفر النِّعمة فلم يأخذها بشكر، فنقص عن درجته؛ غير أن العبد قد أعظم الله عليه النعمة في العقل»، ساقط من (و).
(٨) في (أ): «شكرها».

باب في العقل والهوى

واعْلم أن العقل والهوى ضدان، مركبان في العبْد كتركيب الجوارح، وهما يعْتركان في قلب ابن آدم، فأيهما غلب اسْتعلى على صاحبه واستولى على العبْد، وكانت[١] أعْماله كلها بالمستوْلى عليه، وكان[٢] له تبعا، فشكر العبْد إذا كان ذلك لله على نِعْمة عقله أن يتبع دلالة عمله وعقله، فيؤْثر دلالتهما وما يدعون إليه على هوى نفْسه.

واعلم أن الأمْر عظيم على قدر ما أرى من غلبة الهوى علينا، واستمكان الدنيا من قلوب علمائنا وجُهَّالنا، فلمَّا كان ذلك منا كذلك، عَزَّ وجود الصدق على كثرة وجود معرفته ووصْفه، وقلَّ العمل به والقيام بحقِّه، وقد فشا الكذبُ، وكَثُر الرياء، والتَّزين للدنيا، وسُلوك أودية الهوى، ونزول أودية الغَفْلة، ولا يؤمن السَّبيل أن يركب على تلك الغَفْلة فتنقلب[٣] النفس / ٢٨أ/ .

وأرى[٤] الهوى قد قام مقامَ الحق، يُعمل به، ويُقضى بقضائه، ويُحكم بحكمه، وقام سُوء الأدب والمكر والخديعة مقام العُقول، وقامتِ المداهنة مقام المداراة، وقام الغِش مقام النُّصح، وقام الكذبُ والتزين مقام الصِّدق، وقام الرِّياء مقام الإخلاص، وقام الشَّك مقام اليقين، وقامت التُّهمة مقام الثِّقة، وقام الأمن مقام الخوف، وقام الجزع مقام الصَّبْر، وقام السُّخط مقام الرِّضا، وقام الجهل مقام العِلْم، وقامتِ الخيانة مقام الأمانة، فصار من قِلَّة الأكياس لا يُعرف الحمقى[٥]، ومن قِلَّة أهل الصِّدْق لا يُعرف أهل الكَذِب، إلا عند أهل الفَهْم والعقْل والبصيرة.

---

(١) في (أ): «فكانت».
(٢) في (أ): «فكان».
(٣) في (أ): «فتتلف».
(٤) في (أ): «وإن».
(٥) نقله عنه ابن أبي جمرة في شرح حديث «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا» في كتابه بهجة النفوس (١/ ١٤٤) بلفظ: «لقلة العقلاء لم نعرف الحمقى».

فاعتـدلَ النـاس في قُبْح السِّـيرة، وقِلَّـة الاسـتقامة في أمور الآخـرة، إلا مَن عصـم الله، فأصبحنا وقد حِيل بيننا وبين الخـروج من النقص الذي نكرهه من أنفسنا، وحِيل بيننا وبين أن ندخل في الزِّيادة التي تحبها أنفسنا[١]، عُقوبة [لقبح] الإصرار، فجَرينا في ميدان الجهل، وغَلَب علينا سُكْر حُبِّ الدنيا، فنحن نستبق في هذين /٢٨ب/ الشيئين، ونتنافس في الاستكثار منهما.

فصـح عندي: أن مِن الجهل بأمـر الله والاغترار به القيام على هذه الجهالة[٢]، والسـلامة منها - أيسر[٣] وأقرب رشدًا-: وهو أن يكون[٤] المرء في البلد الذي لا يُعْرف فيه، والتخلص إلى إخمالِ الذِّكر أينما كان، وطولِ الصمت، وقِلَّةِ المخالطة للناس، والاعتصامِ بالله، والعضِّ على الكسـر اليابسـة، وما دَنُوَّ من اللباس ما لم يكن[٥] مشهورا، والتمسك بالقرآن، والصبر على الشدائد، وانتظار الفرج[٦].

واعلـم أني قد نظرتُ **ببحـث النفس وعناء لها**: فوجـدت[٧] غفلتنا عظيمة، وخطرنـا عظيمـا[٨]، والغفلة علـى[٩] الخطر أعظم مِن الخطر؛ لأنـه إنما يَعْظُم الخطر عنـد أولي العقول، فكلما عَظُم الخطر، وعلمـتَ أنه عظيم، وكنت من أهل البصيرة: حرَّكك عظيم الخطر، فانتقلت مِن عظيم الغفلة إلى حال التيقظ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

❁ ❁ ❁

(١) في (أ): «نحبها لأنفسنا».
(٢) في (أ): «الحال».
(٣) «أيسر» ساقط من (و).
(٤) «يكون» ساقط من (و).
(٥) «يكن» ساقط من (و).
(٦) يُنظر حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ٢٧٥).
(٧) في (أ): «فوخدت» بالخاء.
(٨) في (أ): «عظيم» بالرفع.
(٩) في (و): «على».

باب في[1] الرِّياء

وقال بعض الحكماء[2]: إن الشـيطان يأتي ابن آدم من قبل المعاصي، فإن امتنع منه أتاه من وجه النَّصيحة ليسـتدرجه، / ٢٩أ/ فلا يزال به حتى يُلقيه في بدعته، فإن امتنع عليه أمره بالتحرّج والشدة؛ ليحرم حلالا أو يحل حرامًا، فإن امتنع عليه أتاه من قِبل الوضوء فيشـككه في وضوئه وصلاته وصيامه، حتى يعتقد بهواه أمرًا يضل فيه عن السبيل، ويدع العلم، فإذا قدر منه على شيء من ذلك خلّى بينه وبين العبادة، والزُّهد، وقيام الليل، والصدقة، وكل أعمال البِر، ويخفف ذلك عليه، وربما كابده الشيطان من المردة فيقول له إبليس: دَعْه لا تصده عما يريد، فإنما بأمْري يعمل[3].

وإذا[4] نظر إليه الناس في عبادته، وزُهده، وصبره، ورضاه بالذل، قالت العَامَّة ومَن لا علم له: هذا عالم مصيبٌ، بصير، صابر، فيتبعونه على ضلالته، ويمدُّ له إبليسُ الصَّوتَ فيعجبُ بعمله، فيكون فتنةً لكلِّ مَفْتون.

ومن علامته: الإعجابُ برأيه، والإزراءُ على مَن لم يعمل بمثل عمله، ويكونُ نظره إلى الناس بالاحتقار لهم[5]، ويَتغضَّب عليهم في التقصير به.

وقـد رُوي في العلـم: **«احْـذَرُوا فتنة[6] العابد الجاهل، والعالم الفاسـق، فإن فتنتهما / ٢٩ب/ فتنةٌ لكلِّ مَفْتون»**[7].

❁ ❁ ❁

---

(١) «في» ساقط من (و). (٢) يُنظر إحياء علوم الدين (٣/ ٤٥).

(٣) في (أ): «بدعـة»، نقـل هذا النص عـن يمن بن رزق بألفاظ قريبة منه ابن أبي جمرة في شـرح حديث إن الدين يسر في كتابه بهجة النفوس (١/ ٨٦).

(٤) في (أ): «فإذا». (٥) «لهم» ساقط من (و). (٦) «فتنة» ساقط من (و).

(٧) أخرج الآجري في أخلاق العلماء (٨٧) من طريق ابن المبارك، أن سفيان الثوري قال: «يُقَالُ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الْعَابِدِ الْجَاهِلِ، وَفِتْنَةِ الْعَالِمِ الْفَاجِرِ، فَإِنَّ فِتْنَتَهُمَا فِتْنَةٌ لِكُلِّ مَفْتُونٍ»».

باب الرِّفْق في العمل[١]

واعلـم يا أخـي: أن العبدَ إذا أراد أن يعمل العمـل بالرِّفق قال له العدوُّ: إن العمـل بالخير لا ينفعك حتى تَدَعَ الشـرَّ كلَّه، وتزهدَ في الدنيا، وتعتزل الناس، فاعرفْ نَفْسَـك وأصلح عيوبك، والذي عنك أكثر وأعظم من أن يصلح هكذا سريعًا، ويعظم عليه الأمر[٢] حتى يكاد يَقْنط ويَنْقَطع[٣] عن العمل.

فإن[٤] كان في يده[٥] دُنيا عَرَضَ له بحُسْـن الظن والرَّجاء والتَّسْـويف وطول الأمل، فإن أجابه إلى هذا الباب قَطَعَه عن البرّ، وشغله بالدنيا وشهواتها، فإن رَدَّ ذلـك عليه وقال: التوبة، قال: صَدَقْتَ لعَمْري لقد فرطت، وأخاف أن يدركك المـوتُ، فعليك بالجـد والاجتهاد، ولا يريد أن يقصِّر فيلزمه[٦] أشـدَّ العبادة، فيَنْبَتُّ[٧]،[٨] أو ينقطع، أو[٩] يذهب عقله.

فإن اشـتهر ذلك[١٠] عند النـاس ألقى إليه طول الأمل، وخوَّفـه قِلَّة الصَّبر، ويقـول له: لك بالناس أسـوة، فيبغض إليه العبـادة، ويُثقِّلها عليه، ثم يقول له: إن النـاس قد عرفوك بالعمل، فلا تُبْد[١١] لهم التقصير، وَدَعْ نَفْسـك في السِّـر، ويُعرِّض/ ٣٠أ/ له بغذائه[١٢] الأوَّل من الشهواتِ التي كان يُصيبها فيميل إليها، ويرجع إلى حالته الأُولى، وصيَّر عمله علانيةً رياءً، لا ينفعه بشيء[١٣].

---

(١) «باب الرفق في العمل» ساقط من (أ).
(٢) «الأمر» ساقط من (و).
(٣) في (و): «يقنطه ويقطع».
(٤) في (أ): «وإن».
(٥) في (أ): «يديه».
(٦) في (و): «يلزمه».
(٧) في (أ): «فيثبت».
(٨) ومن ذلك قوله عَلَيْهِالسَّلَامُ: «إن المنبت لا سفرا قطع ولا ظهرا أبقى»، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (رقم: ٣٦٠٣).
(٩) في (أ): «و».
(١٠) في (أ): «بذلك».
(١١) في (و): «تبدي».
(١٢) في (أ): «بغذاه».
(١٣) في (و): «شيئا»؛ بالنصب على المفعولية.

وعلامة ذلك: أن يَسْتحلي الكلام في الزهد وما يُزيِّنه عند الناس، ويُحبِّب إليه مجالسةَ الناس، فيُصيِّر عبادته وزُهده كلَّه بالكلام، فالعالم عَرَفَ ضَعف نفْسه، وعرف زَمانه وقِلَّة الأعوان فيه على الخير، وكثرةَ الأعْداء، فأخذ الأمْر بالرِّفْق والاستعانة بالله، وطلبَ صفاء الأعْمال والإخلاصَ فيها، وإن قَلَّتِ الأعْمالُ، وطَلَبَ مخالفةَ الهوى، ونقل الطبائع[1] بالرِّفق، وموافقةِ السُّنة، وأخرج الناس من قلبه، وقَصَد قَصْد جهادِ نفْسه، ومحاربةِ الشيطان والمعاندة للهوى بالخلاف، ولِمَا يُلقون إليه، فإن الله جل ثناؤه قد جعل لكل مَكيدة من مكائد إبليس سلاحًا تُدفع به تلك المكيدة.

وينبغي للعابد[2] أن يعرف نزغات الشيطان أنَّى تأتيه، وما تهواه النفس، فإن الشيطانَ لا يصل إلى العبد ولا يقدر عليه إلا من قِبل موافقته[3] الهوى، فإذا بدأ /٣٠ب/ العبدُ بنفسه ومُحاربتها، وبهواه فأماته: هان عليه الشيطانُ.

واعلم يا أخي: أن هذا الدِّين متينٌ، فإن أنت أخذتَ[4] فيه بالرِّفق أمكنك[5]، وشرّ السَّير الحقحقة[6]، وقليل **تَدوم عليْه خير من اجتهاد يقطعك**، فإنك لم تر شيئا أشدَّ توليا من القارئ إذا تَولَّى[7].

---

(١) في (أ): «الطباع».
(٢) في (أ): «للعالم».
(٣) في (أ): «موافقة».
(٤) في (أ): «وغلت».
(٥) أخرج ابن المبارك في كتاب الزهد (رقم:١١٧٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (رقم: ٣٦٠٢) أن النبي ﷺ، قال: «**إنَّ هذا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ، ولا تُبَغِّضْ إلى نَفْسِكَ عِبَادَةَ الله تَعَالَى، فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لا أَرْضًا قَطَعَ، ولا ظَهْرًا أَبْقَى**».
(٦) في (و): «الحقحقة»، قال ابن فارس: «الحقحقة: أرفع السير وأتعبه للظهر، وفي حديث مطرِّف بن عبد الله لابنه: خير الأمور أوساطها، وشر السَّير الحقحقة»، مقاييس اللغة (٢/ ١٧-١٨)، مادة: (حق).
(٧) أخرج مسلم في صحيحه (رقم: ٧٨٥) أن النبي ﷺ قال: «**عَلَيْكُمْ مِنَ الْعَمَلِ ما تُطِيقُونَ. فَوَاللهِ لا يَمَلُّ الله حَتَّى تَمَلُّوا وكان أَحَبَّ الدِّينِ إليه ما دَاوَمَ عليه صَاحِبُه**».

ويُـروى عـن النبي ﷺ أنـه «**كان يتعوَّذُ مـن الحَوْر بعد الكَـوْر**»[1]، وكانوا يُحبون الزِّيادة، ويَكْرهون النُّقصان.

وينبغي للعابد أن يكون حذرًا لخلاف السُّـنة، فإن مَن خالف السُّـنة خالف الحق، ومن خالف الحق هلَك[2].

فائـتِ العلمـاءَ والزمْ آدابهم، فـإن رأيتهم يقصرون في بعـض ما يقولون فلا تزْهد فيهم، واقتد منهم بذي البصيرةِ والصَّبر، ومَن يُوافقُ قولَه فِعْلُه، وذلك أنه يُرْوى عن مطرِّف بن عبد الله بن الشـخير[3] أنه قـال: «عُقول الرِّجال على قَدْر أزمنتهم، فإذا نقصَ العقل، نقص البِر كلُّه»، فاعْرفْ نفْسَك في زمانك.

واعلـم أن الزُهد والعبادة والعلم المعمول به في هذا الزمان قليلٌ، وإن كان مَن يتشـبَّه بالعلماء لا يصبر على نُزول / ٣١أ/ المِحن؛ فكيف بالجاهل[4] على نزولها؟

---

(١) أخرج الترمذي في سننه (رقم:٣٤٣٩) عن عبد الله بن سرجس، قال: كان النبي ﷺ إذا سافر يقول: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، والخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ، اللَّهُمَّ اصْحَبْنَا فِي سَفَرِنا، واخْلُفْنَا فِي أَهْلِنَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن وَعْثَاءِ السَّفَرَ، وكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، ومِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ، وَمِنْ دَعْـوَةِ الْمَظْلُومِ، وَمِنْ سُـوءِ الْمَنْظَـرِ فِي الأَهْلِ والْمَالِ**»، وقال: هذا حديث حسـن صحيح، ويروى الحـور بعد الكون أيضا، قال: ومعنى قوله: الحور بعد الكون، أو الكور، **وكلاهما لـه وجه**، يُقـال: إنما هو الرجوع من الإيمـان إلى الكفر، أو من الطاعة إلـى المعصية، إنما يعني الرجوع من شيء إلى شيء من الشر.

(٢) قريـب مـن هذا النص نقله عنه ابن أبي جمرة في بهجـة النفوس (٤/ ١٠٨) حيث قال: «وقد قال العلماء -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- **مثل يمن بنُ رِزْق** وغيره: وأنا أوصيك باتِّباع السُّنَّة في عملك، وآكد مِن ذلك اتِّباع السَّلف، فإنهم أعرف بالسُّنَّة مِنَّا».

(٣) «بن عبد الله بن الشخير» ساقط من (و).

(٤) في (و): «الجاهل».

وإذا كان من يتشبَّه بالزُّهاد لا يصْبر؛ فكيف يصْبر الرَّاغب في الدنيا، والعالم من أهْل هذا الزمان من شدَّة الصَّبر جَزِعٌ[١]، والجاهل من شدَّة الجزع صبر[٢]، فيا سبحان الله ماذا أصبحنا وأمْسينا فيه لو عقلنا[٣]؟

فصار العالِم إنما هو متشبِّه بالعلماء، مدخول فيهم، يُسمَّى[٤] باسم لم يستحقُّه.

وصار الزَّاهِدُ متشبه بالعُبَّاد[٥]، يُسمَّى باسم لم يستحقَّه.

وصار الزَّاهدُ متشبه بالزُّهاد[٦]، يُسمَّى باسم لم يستحقَّه.

وصار المتوكلُ مدخولًا مُتشبِّها، يُسمَّى باسم لم يسْتحقه.

فمـاذا أصبحنا فيه وأمْسـيْنا[٧]، لو عقلنا إذا كانت هـذه الطبقاتُ من الناس على هذه الحال[٨]، إلا من عصم الله عَزَّوَجَلَّ؟

وأما **العالِمُ الصادقُ**: الذي استوجَبَ اسْم العلم على الحقيقة، فإنه يَكره من علمه بالله أن يُظهر بلسانه ويده[٩] أو بجوارحه أكثر مما في قلْبه، فيمقته الله على ذلـك، ولـم يره الله يُؤْثِر دنياه على آخرتـه، فصبر عن الدنيا، وصبر عن[١٠] الذَّم والتقصير والتقليل، / ٣١ب/ وكره المدح والتَّوسُع من الدنيا.

والجاهـل الذي يعمل بجهل[١١] جَزِعٌ من الـذَّم، وفرِحٌ بالمدح، حتى صبر على[١٢] الدنيا من الجزع.

---

(١) في (أ): «خرج».
(٢) في (أ): «الصبر خرج».
(٣) «لو عقلنا» ساقط من (أ).
(٤) في (و): «ليسمى».
(٥) في (أ): «يتشبَّه بالزهاد».
(٦) في (أ): «العابد يتشبه بالعباد».
(٧) في (أ): «فماذا أمسينا وأصحبنا فيه».
(٨) في (أ): «الحالات».
(٩) في (أ): «أو بيده».
(١٠) في (أ): «على».
(١١) في (أ): «الذي يجهل».
(١٢) في (أ): «عن».

فاحـذر أن تَصـبر صبْر الجاهل، ولذلـك ثَقل العمل على أهـل العلم بالله، وخفَّ على أهل الجهل.

ونوم العالم أفضلُ من اجتهاد الجاهل، وضَحِك العالم بالله أفضل من بكاء الجاهـل، فاحذرْ إبْليسَ على أعمالك كلِّها، واحذرْ نفْسـك، واحذر[١] هواك، واحذر أهل زمانك، ولا تَأمَنْ أحدًا منهم على دِينك.

واعلم أن إبْليسَ -لعنه الله[٢]- قد نَصَبَ لك حبائله، وأقعدَ لك الرَّصْد[٣] في كلِّ منْهل، وقد سُلِّط أن **يجري منك مجرى الدَّم في العُروق، ويراك هو وأعوانه من حيث لا تراهم**[٤].

واعلـم أنه يأتيك مـن قِبل الرِّيـاء، والعجب، والكبر، والشَّـك، والإياس، والأمن مِن المكر، والاستدراج، وتَرْك الإشفاق.

فإن تابعته في شـيء من ذلك، فأنتَ على سـبيل هَلكَة، خُلِّي حينئذ[٥] بينك وبيْن ما شئتَ مِن العمل.

فإن خالفته أتاك من قِبَل الدنيا ليستولي[٦] الهوى على قلبك[٧]، فيتمكن هو من الذي / ٣٢أ/ يُريد منكَ.

---

(١) «احذر» ساقط من (أ). (٢) «لعنه الله» ساقط من (أ).

(٣) في (أ): «الرصدة».

(٤) في (أ): «ترونهم»، قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٧].

(٥) في (و): «فحينئذ». (٦) «الدنيا ليستولي» ساقط من (و).

(٧) «على قلبك» ساقط من (أ).

فإن خالفته أتاك من قِبَل المعاصي[١].

فإن خالفته أتاك من قِبَل النصيحة.

وهذه الخصال التي وصَفتُ لك كلُّها أشدُّ من المعاصي؛ لأن المعاصي[٢] ربما انتبه العبدُ فتاب منها، وصاحبُ هذه الخصال أو شيء منها لا يكاد يتوبُ؛ فإن ظَفِر من العبد بالعجب قال له: إن الناس يقتدون بك، فاعمل وأعلنْ عملك، فيتأسى[٣] الناسُ بك، ويعملون مثل عملك، ويكون لك مِثْلُ أَجْر مَن عمل بمثل عملك؛ لأنه «**مَن دلَّ على خيْر، فله مثلُ أجر فاعله**»[٤].

فإذا ظهر[٥] عمله فرح به، فصار معجبًا، وحَمِد نفسه، ونَسِي النِّعمة عليه[٦]، فإذا نَظَر إلى عمله حُبِّب إليه حمدهم، واتخاذُ المنزلة عندهم، فإذا فعل ذلك صار مُرائيًا مُفاخرًا.

فاتَّهم فَرَحَ القلب بالعمل، فإن الفَرحَ إلى القلب الفَرِح[٧] أقربُ وأسرعُ منه إلى القلب الحزين، وأقلل من معرفة الناس، فإنه ليس يأتيك ما تكره إلا مِن قِبَلهم[٨]، فكلَّما قَلُّوا كان خيرًا لك.

---

(١) «فإن خالفته أتاك من قِبَل المعاصي» ساقط من (أ).

(٢) «لأن المعاصي» ساقط من (أ).

(٣) في (و): «فيقتاد».

(٤) أخرج مسلم في صحيحه (رقم:١٨٩٣)، عن أبي مسعود الأنصاري، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: إني أُبْدِع بِي فاحملني، فقال: «ما عندي»، فقال رجل: يا رسول الله، أنا أدله على من يحمله، فقال رسول الله ﷺ: «مَن دل على خير فله مثل أجر فاعله».

(٥) في (أ): «أظهر».

(٦) في (أ): «عله»؛ وهو خطأ ظاهر.

(٧) «الفرح» ساقط من (و).

(٨) في (أ): «فإنه ليس يأتيك ما تكره إلا ممن تعرف، فمن كان لا يأتيك ما تكره إلا مِن قِبَلهم».

واعلـم أن العبْـد يعمل العمل في السِّـر، فلا يـزال به إبليس يقـول: أظهره ليقتدي بك / ٣٢ب/ الناسُ فيه، وتنشّطهم على طاعة ربك، فلا يزالُ به إبليس[١] حتى يظهره، فإذا أظهره كُتب في ديوان العلانية، فلا يزال به حتى يفخر به، فإذا فخر[٢] به كتب في ديوان الرِّياء[٣].

فعليـك بعمل السِّـر وكتمانـه، وإخمال النفس، وإسـقاط المنزلـة، واكتم الحسـنات كما تكتم السـيئات، وخَـفْ من فضيحةِ الحسـنات كما تخاف من فضيحة السـيئات، فإنَّ المفتضح بالسـيئات ليس يفتضح عند الخلق كلِّهم[٤]، وإنمـا يفتضح عند قوم دون قوم، والمفتضح بالحسـنات إذا دخلها[٥] الرِّياء[٦] افتضح عند جميع العالم كلِّهم.

واحذر واستح[٧] من الله أنْ يراكَ تعمل لغيره، وتَطلب الثَّوابَ منه، وأخلص العملَ لله[٨]، واصْدق في عملك.

واعلم أن تخليص العمل في العمل أشـدُّ من العمل حتى يتخلص، والاتقاءُ على العمل بعد العمل أشدُّ من العمل[٩].

واعلم أنه لا يقبل الله عملا من مُرَاءٍ، ولا من مُسَمِّع، ولا من دَاعٍ إلا بثبوت[١٠]

---

(١) «إبليس» ساقط من (أ).

(٢) قال سفيان الثوري: «إن العبد ليعمل العمل سرا، ولا يزال به الشيطان حتى يتحدث به، فينقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية»؛ ينظر كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ٤٠٨).

(٣) في (أ): «افتخر».

(٤) في (أ): «فإن المفتضح عند الخلق ليس يفتضح عند الخلق كلهم».

(٥) في (أ): «داخل».

(٦) «الرياء» ساقط من (و).

(٧) في (أ) و (و): «واستحيي»، والأولى ما أثبتناه.

(٨) «لله» ساقط من (و).

(٩) «من العمل» ساقط من (و).

(١٠) في (أ): «بثبت».

من قلبه، فاحذر[1] الرِّياء كله، فإن أوَّله وآخِرَه باطل، وكنْ في العمل متأنيًا وقَّافًا، فإذا هَمَمْتَ بعمل فَقِفْ عنده، فإن كان[2] لله خالصا، فاحْمد الله، وامْضِ عليه[3]، واستعن بالله / ٣٣أ/ على إخلاصه، واكْلُف من الأعمال[4] ما تُطِيقُ، وتُحِبُّ أن تَزْداد منه، ودُمْ عليه؛ «**فإنَّ أحبَّ الأعمالِ إلى الله أَدْومُها وإنْ قَلَّ**»[5].

فاعملْ بما تبين[6] لك أنه حقٌّ واضحٌ، فإذا أشـكل عليك فقِف ولا تَقتحم، ونَاظِـر العلماء الذين يعملون بعلمهم، فَهُم الذين قصدوا إلى الله، وهُم الدُّعاة إلى سبيل النجاةِ، الأَدِلَّاءُ على الله؛ لأن المؤمن وقَّاف عند ما اشتبه عليه، وليس كحاطب الليل، فناظـر العلماء فيما التبس عليك، فما اجتمعوا عليه فخذ أنت فيه بالثقة والاحتياط، فإن الإثم حزان القلوب[7].

واعلـم أن إبليس لعنـه الله ربما قال للعبْد: قد سـبقك الناس إلى الله، فمتى تلحق بهم؟

فلتقـل لـه عند ذلك: قـد عرفتك، أنـا في الطلب إن وُفِّقـت لحقت، وإن لم أُوفـق لم ألحق، إن صبرت علـى القليل نلت الكثيـر، وإن عجزت عن القليل فأنا عن الشـكر أعجز، وقد قـال جلَّ وعزَّ: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [الأنفال:٤٨].

---

(١) في (أ): «واحذر».

(٢) «كان» ساقط من (و).

(٣) في (أ): «فيه».

(٤) في (أ): «العمل».

(٥) أخرج البخاري في صحيحه (رقم: ٦٤٦٤) عن عائشة: أن رسول الله ﷺ قال: «**سَدِّدُوا وقَارِبُوا، واعْلَمُوا أَنْ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، وأَنَّ أَحَبَّ الأَعْمَال إلى الله أَدْوَمُهَا وإِنْ قَلَّ**».

(٦) في (أ): «يبين».

(٧) عـن أَبِـي الأَحْـوَصِ قال: قال عَبْـدُ الله بن مسـعود: «**الإِثْمُ حَـوَّازُ الْقُلُوبِ، فما كان مِـنْ نَظْرَةٍ فلِلشَّيْطَانِ فِيهَا مَطْمَعٌ**» يعني بنظرة تأخير الشيء. أخرجه أبو داود في كتاب الزهد (رقم: ١٢٥).

فالزينة من الشـيطان، والنـور من الله، فإذا عمل العبـد عملا فرأى /٣٣ب/ الشيطان معه نورًا، كان هِمّة الخبيث أن يطفئ ذلك النور.

وإن كان الغالـب علـى العبد عمل السـر، أخرجه إلى عمـل العلانية بحيلة ومكيـدة، فإن عمل في العلانية بصدق وإخلاص، فـرأى في عمل العلانية نورًا وصبْـرا، أمـره بمخالطة النـاس؛ ليـؤذى فلا يحتمل، فـإن خالطهـم وأُوذي، واحتمل الأذى، أمـره بالعُزلة والراحة من الناس؛ ليعجب بما يعمل، ويضجر من العمل، فإن اعتزل وصبر وأخلص [قال له](١): ارفق خير لك؛ ليصدنه عن العبادة، وإنما يلتمس في الأشـياء غفلته، فينبغي للعبد أن يكون غير غافل عنه، ويستعن بالله عليه.



---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

باب في الإخلاص

واعلم أن صاحب الإخلاص خائف، وَجِل، حزين، متواضع، منتظر للفرج من عند الله، يَوَدُّ أنه نجا كفافا، لا عليه ولا له[١]، والجاهلُ فَرِحٌ، فَخورٌ، مُتكبِّر، مُذلٌّ[٢] بعلمه[٣].

ويُروى عن **بعض الحُكماء** أنه قال: إنِّي لأعرفُ مائة باب من الخير، ليس عندي منها شيءٌ.

واعلم أن العالم[٤] العاملَ الصَّادق، المخلص، العارف، / ٣٤أ/ الخائف، المشتاق، الرَّاضي، المسلِّم، الموفِق، الواثق، المتوكِّل، المحبَّ لربه: يحبُّ أن لا يُرَى شخْصُه، ولا يُحكى قولُه، ويَودُّ أنه أفلتَ كفافًا، فمعرفتُه لنفسه[٥] بَلَغتْ به هذه الدرجات[٦]، ومُسْكَته بهذه العزائم أَوْصَلَه ذلك إلى مَحض الإيمان.

والجاهلُ المسكين يُحبُّ أن يُعرف بالخير، ويُنشر عنه[٧]، ويُنشر ذِكْره، ولا يُحِبُّ أن يُزْرى[٨] عليه في قولٍ ولا فعل، بل يُحبُّ أن يُحمدَ على ذلك كلِّه، ويُوطأ عقبه[٩]، وإن لم يرزأ بهم[١٠] شيئاً، وإنما شِدَّة حُبِّه لذلك لحلاوة الثناء، والحب لإقامة المنزلة، والفتنةُ في هذا عظيمةٌ، والمؤنةُ عليه شديدةٌ،

---

(١) «ولا له» ساقط من (أ).
(٢) في (أ): «مدل» بالدال المهملة.
(٣) في (أ): «بعمله».
(٤) «العالم» ساقط من (و).
(٥) في (أ): «بنفسه».
(٦) «الدرجات» ساقط من (و).
(٧) في (و): «وينتشر عليه».
(٨) قال ابن فارس: «زرى: الزاء والراء والحرف المعتل يدل على احتقار الشيء والتهاون به، يقال زريت عليه، إذا عبت عليه، وأزريت به: قصرت به». مقاييس اللغة (٣/ ٥٢).
(٩) في (أ): «عقبيه».
(١٠) في (أ): «لهم».

وهو عبْد من عبيد الهوى، يتلاعب به الشيطانُ كلَّ التلاعب، فتنقضي[١] أيامه، ويَفني عمُره على هذه الحال: أسيرا للشيطان، وعبدا للهوى[٢].

واعلم أن الشيطانَ إذا نَظَرَ إلى العبد مُريدًا، صادقا، مخلصا، مداوما، عارفا بنفسه، عارفا بهواه، معاندًا لهما، حَذِرا، مستعدا، عارفًا بفقره إلى الله، قال له: إنَّ هذا الأمْرَ لا يصلح إلا بالأعوان عليه، والشيطان على / ٣٤أ/ الواحد أَقْوى، وهو من الاثنين أبْعدُ، فجالس إخوانك، وذَاكِرهم، وأخبرهم بما ينوبك في عملك، ونفسك وهواك، ومن عدوِّك، يدلُّوك ويعينوك[٣]، يريد بذلك ذهاب حزن الخلوات، وإطفاء نُور العُزْلة بقطع[٤] سبيل النجاة، وفتح طريق الفضول[٥]، والتشاغل بغير الله، وإخراجه من عمل السِّر إلى عمل العلانية، وإنما يُريد بذلك كلِّه إطفاء ما قد أحدثَ الله جل ذِكْره في قَلْب العبد من نُور فِكْر الخلوات.

فإن قُلْتَ: هذا إنما هو من الشيطان؟

قال لك: أجل، إنما هو من الشيطان، و تعليمك الناس[٦] أفضل من عملك، فلو أخبرت الناسَ بذلك لكان[٧] خيرًا لك؛ ليعلموا من آفات الأعمال ما تعلم، فتُؤجر فيهم.

فإن قلتَ: هذا أيضا من الشيطان؟

قال لك: لولا علمك لم تعلم بهذه الآفات لتعجب بنفسك، أو[٨] تنسى النِّعمة عليك في العمل، فتحمد النفس، فلا يُجاوز عملك رأسك، فاحْذر هذا الباب، فإن فيه شهوات خفيَّة.

---

(١) في (أ): «تنقضي».
(٢) في (أ) و (و): «أسير للشيطان وعبد للهوى» بالرفع.
(٣) في (أ): «يدلونك ويعينونك».
(٤) في (أ): «وقطع».
(٥) في (أ): «الوصول».
(٦) في (و): «معرفتك بذلك».
(٧) في (أ): «كان».
(٨) في (أ): «و».

ومن الشـهوة /٣٥أ/ الخفية: أن يُخفي العبدُ عملـه، ويحب أن يعلم الناس به، ويحب أن يرى أثر ذلك عليه، والعمل خفي في السـر، إلا أنه يحب أن يرى أثـر ذلك العمل عليه، إما من علامة عطش إن كان صائما، أو علامة السـهر في الوجه إن كان قام من الليل.

واعلم أن العبد إذا[١] قال: أنا أعمل لله لا للنّاس، قال [له]: صَدَقت، أَخْلِصْ عَمَلَك لله، فإنَّ الـمُخلِصَ لله يحبّبه الله إلى الناس، ويعرِّفهم فضلَه.

فإن قال العبد: وما حاجتي إلى الناس؟

قـال: فأنـت الآن المخلص الذي قـد أخرجت الناس مـن قلبك، وعرفت مكيدة إبليس لعنه الله[٢]، وقد نجوتَ، وأنْتَ معصومٌ.

فـإن عقل العبد، وقال له: ومن أنا؟ وإنمـا الأعمال مَنٌّ مِن الله على العباد، ولها شكر، وإنما الأعمال بخواتمها[٣]، وإنما الثواب على الله يوم الجزاء لمن أخلـص، ولـم يُعجب بعمله[٤]، ولـم ينسـب إلى نفْسـه نِعمة هـي من الله، وقد وجب له عليه بها[٥] الشكر.

فإنـه يقول للعبـد عند ذلك: الآن نجوتَ حين اعترفـتَ /٣٥ب/ لله بذلك، وقمْتَ بشـكر النعمة، وتواضعْتَ لربك، وبَرأْتَ نفْسك من العمل ونسبْتَه إلى الذي هو منه.

فإن قبلتَ ذلك منه[٦] هلكتَ، ولكن قل: أنا أرجو، وأخاف، وليس إليَّ من النجاة شيء، ولست أدري بما يختم لي عملي.

---

(١) في (أ): «إن».

(٢) «لعنه الله» ساقط من (أ).

(٣) في (أ): «بخواتيمها».

(٤) «ولـم يعجب بعمله» ساقط من (و).

(٥) في (أ): «بها عليه».

(٦) في (و): «فإن قلتَ ذلك».

وإياك والتَّزين بِتَرْك التَّزيُّن[١]، وذلك أنه ربما تَزيَّن الرَّجل بالرِّقاع والخِرق[٢] والشعث، وترك الدنيا، وإنما يريد بذلك كلِّه التزين.

فإن فعلتَ ذلك نزلتَ[٣] بمحلَّة خُشُوع النِّفاق[٤]، فإن[٥] عرفت نفسك بشيءٍ من ذلك، ولم تسارع[٦] إلى التحول منه، خِفتُ أن يلحقكَ الخِذْلانُ والمقتُ، فاتق الله في جميع أمورك، **واعمل له كأنك تَرَاهُ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**[٧].

فإن قال لك الخبيثُ: الآن نجوتَ حين عرفتَ نفسك، وأنزلتها هذه المنزلة، وحَذِرتَ هواكَ وعدُوَّكَ، فقل: الآن هلكتُ حين أَمِنْتُ العقابَ.

فإن قال لك: الآن نجوتَ حين خفتَ أن تكون قد أَمِنْتَ العقابَ.

فقل: الآن هلكتُ، لو كنتُ صادقًا لصدَّق قولي فعلي، ولازددتُ خوفًا /٣٦أ/ من الله جل ذكره وحياء[٨]، ولو كنت كذلك لحال بيني وبينك، ولجعلني في حرزه[٩] وحصنه، ومن عباده الذين قال الله فيهم[١٠]: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾[الحجر:٤٢]، ولم تكن أنتَ تدخلُ عليَّ في عملي.

---

(١) «بترك التزين» ساقط من (و).
(٢) «والخرق» ساقط من (و).
(٣) «نزلت» ساقط من (و).
(٤) قال أبو الدَّرْدَاءِ: «اسْتَعِيذُوا باللهِ مِنْ خُشُوعِ النِّفاقِ، قِيلَ لَهُ: وما خُشُوعُ النِّفَاقِ؟ قال: أَنْ يُرَى الْجَسَدُ خَاشِعًا والْقَلْبُ لَيْسَ بخَاشِعٍ»، أخرجه أحمد بن حنبل في كتاب الزهد (رقم: ٧٦٢).
(٥) في (أ): «وإن».
(٦) في (أ): «تتسارع».
(٧) «فإن لم تكن تراه فإنه يراك» ساقط من (أ)، وهو جزء مقتبس من حديث جبريل المشهور الذي أخرجه مسلم في صحيحه (رقم:٨)، حيث جاء في جوابه ﷺ عن سؤال جبريل عن الإحسان، قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».
(٨) في (و): «وحيا».
(٩) في (أ): «حزبه».
(١٠) «الله فيه» ساقط من (أ).

فـإن قال لكَ: جاهدْ نفسـك؛ فإنه أفضلُ العمل، وإنّ[١] الناس قد شـغلهم أمْـر غيرهم، واتَّبعوا أهواءهم، وأنتَ بينهم غريب، وأنتَ كالشـجرة الخضراء بين الشَّجَر اليابس، وقد رُويَ عن النبي ﷺ أنه قال: «**طُوبى للغُرباء**»[٢]، وأنتَ المعروفُ في أهل السماء، والمجهولُ في أهل الأرض، فإن قَبِلتَ ذلك هلكت.

وإن قلتَ: هذا من الشيطان؟

قال لك: صَدَقتَ هذا من الشيطان، وقد[٣] كثُرتْ عليك مكائدُه[٤]، ومجاهدة نفسـك وهواك، فكم تعذِّب نَفْسَـك، وإن كنت شَـقِيًّا لم تُسْـعد أبدًا، وإن كنتَ سـعيدًا لم تَشْـقَ أبدا، ولا يضرُّك تركُ العمل إن كنتَ سعيدًا، ولا ينفعك العمل الكثيرُ إن كنت شَقِيًّا، فإن قَبِلتَ القُنوط الذي ألقى[٥] إليك هلكتَ.

وإن تركتَ العملَ، /٣٦ب/ ونِلتَ من الشهواتِ على الغُرور، وحُسْن الظن بزعمك، والاتِّكال على الرجـاء الكاذب، والطمع الكاذب، والأماني الكاذبة، ورجوتَ[٦] الجنة بالغُرور، وطلبتها طلب المتعبدين بالرَّاحة: عَطِبْتَ.

---

(١) في (أ): «فإن».

(٢) أخرج مسلم في صحيحه (رقم:١٤٥)، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «بدأ الإسلام غريبا، وسيعود كما بدأ غريبا، **فطوبى للغرباء**».

وأخرج أحمد في مسنده (رقم:٦٦٥٠) عن عبد الله بن عمرو بن العاصي، قال: قال رسول الله ﷺ ذات يـوم ونحـن عنده: «طوبى للغرباء»، فقيل: من الغرباء يا رسـولَ الله؟ قال: «أناس صالحون، في أناس سـوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم»، قال: وكنا عند رسـول الله ﷺ يوما آخر حين طلعت الشمس، فقال رسول الله ﷺ: «سيأتي أناس من أمتي يوم القيامة، نورهم كضوء الشـمس»، قلنا: مَن أولئك يا رسـولَ الله؟ فقال: «فقراء المهاجرين، والذين تتقى بهم المكاره، يموت أحدهم وحاجته في صدره، يحشرون من أقطار الأرض».

(٣) «قد» ساقط من (و).

(٤) في (أ): «ومكائدته».

(٥) في (أ): «ألقاه».

(٦) «ورجوت» مكرر في (أ).

وإن امتنعتَ قال لك: أَحْسِن ظنك بالله فإنه يقول: «**أنا عند ظن عبدي بي**»[١]، والله يحب اليسر[٢]، والدِّين واسعٌ، والله غفورٌ رحيمٌ، فاعْرِفْ نفسك عند ذلك، واعتصم بالله، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء:٦].

واعلم أنك إن كنتَ في بلدٍ وأنتَ فيه سَالِمٌ، وأمْرك فيه مستقيمٌ، والنُّور معك في فِعْلك وقولك، قال لك: عليك بالثغور، وعليك بمكَّةَ[٣]، وعليك بكذا وعليك بكذا، فإنْ قَبلتَ ذلك رأيتَ فترةً في عاجل عملك، وقساوةً في قلبك، ووقعتَ في المَشُورة، يُريد بك[٤] نقصان العمل بسبب[٥] السَّفر، والشغل به عن الذنوب، والنشاط الذي كان معك.

فإن صِرْتَ إلى بلدٍ أنت فيه مأجورٌ، وقلبك رائح[٦]، قال لك: موضعك كان أصلحَ لقلبك، وأجمع لِهَمِّك، ارْجع[٧] إلى موضعك، **فإنَّ أحب الأعمال إلى الله أدومها** / ٣٧أ/ مع معرفة النفس، والفقر إلى الله، فإن للذنوب ثوابًا، وللصبر ثوابًا، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨].

واعلم أن مَن ينجو بالأعمال أكثر ممن يُهلك بها، وكل عَبْدٍ مُيَسَّر لِمَا خُلق له.

واعلم أن مَن يهلك بالتفريط والتضييع أكثر، وينبغي للمؤمن أن يكون راغبًا راهبًا، لا يَأْمَن ولا يَيْأس.

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه (رقم:٧٤٠٥)، ومسلم في صحيحه (رقم:٢٦٧٥)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذَكَرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة».

(٢) في (و): «اليسير».

(٣) «عليك بالثغور، وعليك بمكة» ساقط من (أ).

(٤) في (أ): «بذلك».

(٥) «العمل بسبب» ساقط من (أ).

(٦) في (أ): «ريِّح».

(٧) في (أ): «وارجع».

واعلم أنه يأتيك من وجُوه كثيرة ما يَغفُل عنك[١]، ولا يألوكَ خَبَالا إن كنتَ مُقِلا، عنْدك من الدنيا شـيءٌ يَسيرٌ، تُريد أن تَقُوتَهُ على نفسك؛ أمَرك بالصَّدَقة، فيرغبـك[٢] فيها لتُخْرج ما في يـدك، وتحتاج رجاءَ أن يَظفر بك في حال الغفلة، وإن كنـتَ غنيا أمَرك بالإمْسـاك، ورغَّبك فيه، وخوَّفـك الفقر والحاجة، وقال لك: **ابْـدأ بمن تَعُول**، ولعلـك تَكْبر وتَضْعف، ويطول عُمـرك، يريد بذلك أن تصيـر إلـى حال البخـل فيظفر بك، وإن كنـت تصوم، وقد عُرفـت بالصَّوْم لا تفطـر[٣]، وأحْببْـت[٤] أن تُريح نفسـك، قال لك: أنتْ[٥] قـد عُرفتَ بالصوم لا تُفْطر، فيضعَ الناسُ أمْرك /٣٧ب/ على أنك قد تَغيَّرت، وفترتَ، وعجزتَ.

فإن قلت: ما لي وللناس؟

قال لك: صدقتَ، أفطر فإن المحسنَ مُعَانٌ، سيضعون أمرك على أحسنه.

فإن قبلت ذلك منه، وأفطرت على أن الناس[٦] سيضعون أمْرك على أحْسن الوجوه والمنزلة، فإنك تسقط[٧] عندهم بإفطارك: فقد عَطِبتَ.

وإن هـو نفى ذلك، تَركَـهُ ونَصَبَ له بابا آخر، فقال لـه: عليك بالتواضع[٨] ليُشْـهره عند الناس، كلما ازداد[٩] تَوَاضعًا على قبوله منه -والشـهوة للشُّهرةِ- ازداد كَلَبًا عليك.

---

(١) «عنك» ساقط من (أ).
(٢) في (أ): «ورغبك».
(٣) «لا تفطر» ساقط من (أ).
(٤) في (أ): «فأحببت».
(٥) «أنت» ساقط من (أ).
(٦) «سيضعون أمرك على أحسنه، فإن قبلت ذلك منه، وأفطرت على أن الناس» ساقط من (و).
(٧) «فإنك تسقط» في(أ): «لا تسقط».
(٨) «بالتواضع» ساقط من (و).
(٩) في (و): «ازددت».

فاتَّـقِ مـا وصفتُ لك، والجأْ إلى الله[١] في أمورك كلِّها، واتْرك طَلَبَ شـيء من الدنيا بعمل الآخرة رغبةً منك في الآخرة، وحُبًّا لها، وإيثارًا لها على الدنيا، فبحبك إيَّاها تَصِل إليها، وبقدر حُبِّك لها تعملُ لها، واجْتنب[٢] الدنيا وأبغِضْها، وبقدر بغضك لها تزهد فيها[٣]. /٣٨أ/ .

وانْظـر[٤] إن كنـتَ ذا علم، فخـفْ أنْ تُوقفَ يوم القيامة؛ فيقـال لك: بُعدا، وسُـحقا، بَعْدَ العلم والبصر مِلْتَ إلى الدنيا، وتركتَ العمل[٥]، واجترأْتَ على ما يُسـخط[٦] الله، ما غرّك بربك الكريم أيها المَغْـرُور، فليَعْبدِ اللهَ العالمُ بطاعة العِلْم، وبترك طاعة الجهل[٧]، وبترك الاغترار بالله عَزَّوَجَلَّ[٨].

واعْلم أن الشيطان يوم القيامة يَتبَرأ مِن جميع مَن أطاعه في الدنيا، وهو يقول في الدنيـا[٩]: مَـن ظنَّ أنه ينجـو مِنِّي بحيلة ففي حبالـي وقع، قال الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران:١٦٠]، /٣٨ب/ وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾[فاطر:١٥][١٠]، فافهـمْ، واحـذرْ، وافطُنْ، وأبصرْ[١١]، وحاربْ، واستعد، وكابدْ، وجاهدْ، واستعن بالله.

---

(١) «إلى الله» ساقط من (و). (٢) في (أ): «وإقلاء».

(٣) ورد بعـد هـذا في (و): «تم الجزء الأوَّل بحمد الله وحُسْـن عَوْنه وصلَّى الله على محمد وآله وسلم تسليمًا، يتلوه إن شاء الله الجزءُ الثاني، والله سبحانه الموفق.
بسـم الله الرحمن الرحيم صلَّى الله على سـيدنا محمد وآله وصحبه وسـلم، الجزء الثاني من تأليف أبي بكر يمن بن رزق، رواية يحيى بن عمر الأندلسي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ».

(٤) طرة في (أ): «خ: واعلم». (٥) في (أ): «العلم».

(٦) في (أ): «أسخط». (٧) «وبترك طاعة الجهل» ساقط من (أ).

(٨) «بالله عَزَّوَجَلَّ» ساقط من (أ). (٩) «وهو يقول في الدنيا» ساقط من (و) ومكرر في (أ).

(١٠) سقط من الآية في (أ): «يا أيها الناس».

(١١) في (أ): «وانظر».

واعلـم أن العبْدَ إذا قـام إلى الصلاة يُريد بها ثـوابَ الله وحدَه، فـ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ﴾[القصص:٨٠]، وإنْ أراد بها ثوابَ الله، وحمد غيْره: هلك.

واعلـم أن أوْلى الأشـياء بالعبْـد أن يُخلـص عمله كلَّـه لله عَزَّوَجَلَّ، والكلامُ فيـه كثير، غيْر أن الأصل فيـه -إخلاص العمل-[١]: أن يعمـلَ العملَ يريدُ الله بـه[٢] كلَّـه، لا يُحِبُّ أن يطَّلع عليه أحدٌ من الناس، فـإن اطَّلع أحدٌ على عملك كرهْتَ ذلك بقلبك، ولـم تُسَرَّ بذلك، ولـم تُحِبَّ أن يحمدك أحدٌ على شيء مِن عملـك، ولا تتخذ به منزلةً عندهم، **فهذا أصل إخلاص العمل**، إن شـاء الله[٣] والله المستعان.

وأمـا الرِّياء **فهو أن تُحبَّ أن يحمدك الناسُ على شـيء مِن عملك، أو تقوم لك منزلة به[٤] عندهم**، ومَن أراد العمل اقتصر على القليل، ومن لـم يرد العمل لـم يكتف بالكثير[٥] / ١٣٩أ/ .

واعلم أنَّ الناس في العمل على ثلاثة أصناف:

فصِنـفٌ[٦] أهْملوا أنفسـهم في العمل من البِّر، فعملـوا ليُعْرفوا بالخير، فهم **الهالكون**.

وصِنْـف أهـل رهبةٍ مِن الله ورغبـة فيما عنْده، يكابـدون الأعمال بالصِّدق والإخلاص، ويتقون فسادَ الأعمال، ولا يُحبُّون المَحْمَدةَ من المخلوقين، ولا

---

(١) «إخلاص العمل» ساقط من (و). (٢) في (أ): «به الله».

(٣) «إن شاء الله» ساقط من (أ). (٤) في (أ): «به منزلة».

(٥) في (و): «وإن لم يكن يريد العمل بالكثير».

(٦) في (أ): «صنف».

المنزلةَ عندهم، ولا يعملون شيئا مِن العمل للناس[١]، ولا يَتْركون من أجلهم شيئا، وأحيانا تعْرض لهم العَوَارض، وأحيانا يَسْلَمون منها.

وفِرْقة قويٌّ إخْلاصهم، مستقيمةٌ سريرتُهم وعلانيتُهم، أخلصوا العمل لله، وتركوا الدنيا بعْد معرفتهم بها، ونظرُوا إليها بالعين التي ينبغي أن ينظروا بها إليها، فرأوا عيوبها[٢] فمقتوها، وصدَقوا الله في مَقْتهم لها، وتركوها زُهدًا فيها، وصدَقوا الله في ذلك، فماتَ ذلك من قلوبهم وذَابَ، ولم يكن لها في قلوبهم قرار؛ لِقُوة[٣] التعظيم في قلوبهم، فلمَّا استولتِ العظمةُ على قلوبهم لم يكن للدنيا ولا لأهْلها في قلوبِهم مُسْتقرٌّ / ٣٩ب/ ولا قرارٌ، فالحمد لله ذي المَنِّ والفضل العظيم.

ومِن الرِّياء أن العبدَ يرائي أهل الدنيا بالدنيا في مَلْبسه[٤]، ومَرْكبه، ومَسْكنه، وأفْرشَتِه، وطعَامِه، وخَدَمه، حتى الدُّهن والكُحل ونحو ذلك، يريدهم بها صيانةً لنفْسه، وهو رياءٌ، وليس كالرِّياء[٥] بالأعْمال التي يُبْتغى بها وجه الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن المرائين بالبر[٦] يُخاف عليهم من النار؛ لقوله: «**بل أردتَ أن يُقال: فلان كذا وكذا، وقد[٧] قيل ذلك**»[٨].

---

(١) «للناس» ساقط من (و).

(٢) «بالعين التي ينبغي أن ينظروا بها إليها، فرأوا عيوبها» ساقط من (أ).

(٣) في (و): «لقوله».

(٤) في (أ): «في لباسه».

(٥) في (و): «كل الرياء».

(٦) في (أ): «من البر».

(٧) في (أ): «فقد».

(٨) أخرج الترمذي في سننه واللفظ له (رقم: ٢٣٨٢)، والنسائي في سننه (رقم: ١١٨٢٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدثني رسول الله ﷺ: «أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل قتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال: إن فلانا قارئ فقد قيل ذاك»...، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

وهذا الذي رَاءَى[1] بالتكاثـر والتفاخر، وطَلَبَ الدنيا حلالا مُكاثرًا مُفاخرًا مرائيا، لَقِي الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامةِ وهو عليه غضْبان.

وهذا مع ما فيه من الفسـاد أهْونُ من الباب الآخر، وكلاهما شـديدان، والله المستعان.

وذلـك أن المفاخرَ إنما يريـد إقامةَ مروءته عند الناس، فلـو كانتْ له الدنيا كلَّها لاحتاج إليها؛ لما معه من حُبِّ الدنيا، وذلك أنَّ قلبَه مشْغول عن الله وعن طلب الآخرةِ، وهو مع هذا خائف وَجِل أن تَنزِلَ به نازلةٌ تُغيِّر حالَه، فيتغيَّر مَن كان له مطيعًا، **فما أشدَّ مَضرَّة هذا الباب.**

وعلامــةُ المريـد: / ١٤٠أ/ **النظـرُ إلى مَن هـو دُونه في الـرِّزق[2]، وإلى مَن هو فَوْقـه في العمل للآخرة[3]**، ويتواضع ولا يُنافس أهـل الكِبْر، والفخر، والرِّياء، والتكاثر، و[لا] يأخذ ما أخذ لنفسـه، ويترك ما ترك لنفسـه، وما أخذ فإنما نيته فيـه قوة على دينه، وإقامة فرائضه، والاسـتغناء عن غيْـره، ويَدَع جميع ما كان للناس من ذلك.



---

(١) في (أ): «رأيا».

(٢) أخرج مسـلم في صحيحه (رقم: ٢٩٦٣) عن أبي هريرة، قال: قال رسـول الله ﷺ: «**انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ**».

(٣) في (أ): «في الآخرة».

باب العجْب[١]

وأما العُجْبُ فأصله: حَمْد النَّفْس، ونِسْيان النِّعمة، وهو نَظَر العبْد إلى نفْسه وفِعَاله، وينسى أن ذلك كلَّه[٢] إنما هو مَنٌّ مِن الله سبحانه عليه[٣]، فتحسن حالُ نفسه عنده، ويَقِلُّ شكره، ويَنْسُب إلى نفسه شيئا هو من غيرها، وهي مطبوعةٌ على خلافه، فإن غَفَل هَلَك واستُدرج، ويكون مُعْجبا بعبادته، مُزْريا على مَن لم يعمل بعمله، عمِيًّا[٤] عن عيوب نفسه، ويكون مستكبرا لعمله مَسْرُورا به، راضيًا عن نفْسه فرِحا بها[٥]، يسْعى في هَوَاهَا؛ غَضَبُه لها ورِضَاه لها.

ولا يخلو المعجبُ /٤٠ب/ بعمله أن يكون مُرَائيا؛ لأنهما قرينان لا يفترقان، ولا يكونُ المعجبُ مَحْزونًا، ولا خائفًا أبدًا؛ لأن العجبَ ينفي الخوف.

واعلم يا أخي أن الناظرَ إلى الله فيما يعملُ قد نفى العُجب عنه؛ لعِلْمه أن العمل إنما هو مَنٌّ[٦] من الله عَزَّوَجَلَّ، فهو[٧] قائم بالشكر، مستعين بالله عَزَّوَجَلَّ على كل حال، مُتَّهِم لنفسه، قد نفى الأعمال كلَّها عنها، فليْس لها عنده فيها حَظٌّ ولا نَصِيبٌ.

واعلم أنهم صِنْفان: **صِنْف علماءُ أقوياءُ**[٨]؛ فهم الذين نظروا إلى الله فيما يَعْملون، فحمدُوا الله على ما وَهَبَ لهم من قليله وكثيره.

وصِنْفٌ نظروا إلى السَّبَب الذي أعطاهم الله عَزَّوَجَلَّ، فاشتغلوا بشكر السَّبَب.

والصِّنْف الأوَّل أقوى مِن هؤلاء، أولئك لا يَعرض لهم العُجب لعلْمهم به، وهؤلاء ربما أُعْجِبوا بالسَّبَب، وربما انتفى عنهم، فهم مكابدون له، فإن قاموا

(١) «باب العجب» ساقط من (أ).
(٢) «كله» ساقط من (أ).
(٣) في (أ): «إنما هو من الله مِنة منه عليه».
(٤) في (أ): «عميٌّ».
(٥) في (أ): «بما».
(٦) «مَن» ساقط من (أ).
(٧) في (أ): «وهو».
(٨) في (و): «أقدياء».

بشكر ذلك فحالتهم حسنة، وهم دون أولئك، وإن رَكَنُوا إلى ما يدخل عليهم مِنَ العجْب، فقد هلكوا إلا أن ينبِّه الله منْ شاء منهم، فيتوب / ١٤١أ/ عليهم[١].

والعُجب كثير، وهو آفةُ المُتَعبِّدين من الأوَّلين والآخرين، وهو من الكِبْر، والكِبْر آفةُ إبليس التي أهلكه الله بها[٢]،[٣].

وأما الشُّهْرةُ وإشارة الناس إلى العَبْد، فإنها لن تَضُرَّ إلا من[٤] أرادها، والمَرْءُ مُلَبَّسٌ زيْن عَمَله، إن خَيْرا فخيْر، وإن شَرًّا فَشَرٌّ[٥].

فكم مِن مُستَتِر بعمله قد شهَّره[٦] الله به، وكم من مُتزَيِّن بعمله[٧] يريدُ به الاسمَ واتخاذَ المنزلة عند الناس قد شَانَه[٨] الله تعالى به، وإنما يُفْسد ذلك ويُصْلحه[٩] الضمير، فإن أحبَّ الشُّهْرة جَمَع الشهرة والرِّياء والعُجْب جميعا، وإن أراد اللهَ وحْدَه، وكان مُخلصًا: لم يَضُرَّه عُرف أو لم يُعْرَف، وربما لحقه حُبُّ مَعرفتهم إيَّاه بالعمل، فيخرج به إلى الباب الذي يُحبِط الأعمالَ.

ومن ذلك حُبُّ معرفتهم إيَّاه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والغضب لله وفي الله، فإن قام بذلك ونفى ما[١٠] يحبه، وكانت نصيحته لله وللمؤمنين،

---

(١) في (أ): «عليه». (٢) «بها» ساقط من (و).

(٣) لأن الله تعالى أمره بالسجود لآدم فأبى استكبارا قائلا: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف:١٢]. (٤) في (و): «لمن».

(٥) في (أ) و (و): «إن خير فخير، وإن شر فشر»، بالرفع، والمثبت هو الموافق لقواعد اللغة.
قال عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا كَسَاهُ الله رِدَاءَهُ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ». أخرجه أبو داود في كتاب الزهد (رقم: ٩٩).

(٦) في (أ): «أشهره». (٧) في (أ): «بعمل».

(٨) في (أ): «أشانه». (٩) في (أ): «وإنما يصلح ذلك ويفسده».

(١٠) في (و): «من».

ونجاة نفْسه نجا[١]، وإن اعتقد شيئا من اتخاذ المنزلةِ، أو حُبِّ الثناء، أو طلب رياسة، أو ليُقْبل قولُه: /٤١ب/ فقد شَرِبَ بكأس[٢] السُّمَّ الذي لا يُبْقي ولا يذر، ولا عَاصِمَ له[٣] من ذلك إلا الله جل ذكره.

والرِّياء والعُجْب والكِبْر والشُّهْرة إنما هي من أعْمال القلب، فتوسَّل إلى الله يا أخي[٤] في صَلاح قلبك، فإن سَلِمَ قلبك، وعلم الله إرادتك إنما هي خالصة له[٥]: خَلَّصك من كل آفة دخلت عليك، والله عَزَّوَجَلَّ يَقْسِم الثناء كما يقسم الرِّزْق، «ومَن خاف الله أخاف[٦] الله منه كل شيء، ومَن لم يخفِ الله أخافه الله من كل شيء، ومَن أحبَّ الله أحبَّه كل شيء»[٧]، والله مُسَبِّبُ العبادة، وإنما تصحيح العمل بالحوادثِ على قَدْر صِحَّة القلبِ، ومع صِحَّة القلب دلالة العقل، وسياسةُ العلم، وسائغة[٨] الخَوْف.

فإن أردتَ عملا فابتغ بذلك ثوابَ الله عَزَّوَجَلَّ، وكثِّر[٩] ما تُؤمل من الله عَزَّوَجَلَّ من النجاة من النار، والوصول إلى نَعِيم الجنة: يُهَوِّن عليك العمل، ويُخَلِّصُه الله من الآفاتِ، ويقويك عليه.

---

(١) في (و): «لنفسه».
(٢) «بكأس» ساقط من (أ).
(٣) «له» ساقط من (أ).
(٤) في (أ): «يا أخي إلى الله»، وهو مجرد تقديم وتأخير لا يؤثر على المعنى.
(٥) في (أ): «له خالصة»، وهو مجرد تقديم وتأخير لا يؤثر على المعنى.
(٦) في (أ): «خوف».
(٧) أخرجه مرفوعا دون جزئه الأخير الدولابي في الكنى والأسماء (رقم: ١٣٣٩)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (٣/ ٢٧٤). قال العراقي: رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أبي أمامة بسند ضعيف جداً، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين بإسناد معضل. تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (٥/ ٢٢١٦).
(٨) في (و): «وسابقة».
(٩) في (و): «وكثير».

فـإذا عملت فاشْـكر، وانظر هل ينقص مـن بدنك شـيء في لَيْلك أو نهارك لتعقد[1] النِّية فيما تَسْتقبل / ١٤٢/أ .

وانظـر إذا أصبحـتَ كيف مَضَتْ عنك[2] ليلتُك بتعبهـا ونَصَبِها، وبقي لك ثوابها وسُرورها، يكون ذلك قُوَّةً لك على ما تستقبل[3].

والحسـنة لهـا[4] نور في القلب، وسُـرور يجـد العبدُ حلاوةَ ذلك السـرور، وضياء ذلك النور.

ولم يَدَع الله جلَّ ذِكره المطيعين حتى جَعَل لهم في الطاعة[5] اللذَّة، والنشاط، وقُرَّة[6] العَين، وحَلَاوةَ القُربة إليه، ولم يَدَعْهم حتى حبَّبهم إلى الناس، وحتى نَظـرُوا إليهم بالهيبة[7] لهم، والإجلال مـع ما في قلوبهم من التواضع والخوف لله[8]، وإنْ لم يَعْرفهم الناس، وكانوا من أهل الجهالة بهم[9].

فـإنَّ أوْضـع خَلْق الله في الدنيـا إذا كان بالطاعة عامـلا: كان مِن أعزِّ الناس عنـد الناس[10]، وأغناهم بالله غِنًى، ومن هَابَ اللهَ في السَّـرِيرة، هابه الناس في العَلَانيـة، وبقدر ما يَسْـتحيي العبْـدُ من الله في الخلوةِ، يسـتحيي منه الناس في العلانية[11].

---

(١) في (أ) و (و): «لتعتقد». (٢) في (أ): «عليك».

(٣) في (و): «قوة على ما يستقبل». (٤) في (أ): «ما».

(٥) في (أ): «بالطاعة». (٦) في (و): «وقوة».

(٧) في (و): «بالهبة».

(٨) قريب من هذا نقله عنه ابن أبي جمرة في بهجة النفوس (٤/ ٢٨٢) حيث قال: «قد ذكر الإمام يُمْـن بن رزق رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ الله تعالى لا يزال بعبده الصَّالح حتى يحبِّبه لعباده، ويلقي خوفه في قلوبهم ويسهل عليه طاعته، ويرزقه حلاوتها».

(٩) في (أ): «به». (١٠) في (و): «النار».

(١١) قارن بما في المدخل لابن الحاج (٣/ ٥٤).

وينبغي للعامل أن تكون محبَّتُه في العمل بالحسنات ويَسْتُرها، ويشكرها[(١)] ويتناساها[(٢)]، فإنه سيحفظها له مَن لا ينساها، / ٤٢ب/ ويُحْصي له مثاقيلَ الذُّر[(٣)] من عمله، فإن ظهرتِ الحسناتُ فليَعرفْ نفسَه، ولا يَغرَّنه ثناءُ من جهله.

وتَفكَّر أيها العاملُ في العواقب، فإن أحببتَ أن يُحبَّك الناسُ، أو يَفطنوا بحسناتك إذا عملتها فيُكرموك ويُجلّوك: فقد تَعرَّضتَ لمقت الله عَزَّوَجَلَّ لك.

ويحك؛ إنك إن أسقطك الله سَقَطتَ، فلا تَعْبَأَنَّ[(٤)] من الوجهيْن جميعًا، وإن سَلِمتْ لك آخرتك سَلِمتْ لك دنياك، وإنَّ خُسْرانَ الآخرة خُسْرانُ الدنيا والآخرة جميعًا، ومن[(٥)] ربح الآخرةَ ربحهما جميعًا.

واعلم أنك إن غَضِبتَ على الناس في شيءٍ هو لنفسك، وأَبْديتَه لهم أو لم تُبْده لهم: عَلِم الله ذلك من قَلْبك، فقد تَعرَّضتَ لِغَضبِه إذا أظهرتَ أنك إنما غَضِبْتَ لنفسك.

واعلم أن الله جلَّ ذِكره لا يخفى عليه مِن أمْرك خَافِية، ولكن فَرْق[(٦)] بيْن غضبك عليهم وبيْن سُرورك بهم، وفرحهم وفرحك بثنائهم[(٧)] عليك بحسناتك، وأنت تريد ثوابها من ربك.

لقد ابتُليت أيها العبْدُ بحسناتك، وعَظُم فيها بلاؤك، ولعلَّها أضرَّ عليك مِن بعْض / ٤٣أ/ سيئاتك، فإن بلغَ بك البلاءُ أن تفرحَ إذا[(٨)] مدحوك بغيْر عَمَلِك، أو بأكثر مِن عملك فقَبِله قلبُك: أحبطَ الله عملَك، ثم تَصير إلى حالة[(٩)] تُحِبُّ

---

(١) «ويشكرها» ساقط من (أ).
(٢) في (و): «ويتناساها».
(٣) في (و): «الدر» بالدال المهملة.
(٤) في (أ): «تغتر».
(٥) «من» من (و).
(٦) في (أ): «وليس الفرق».
(٧) «بثنائهم» ساقط من (أ).
(٨) في (أ): «إذ».
(٩) في (أ): «حال».

مجـيءَ الإخوان إليك[١] في أوقات الأعمال فتفرح، وإن أتوك في وقت فراغك حزنـت عند ذلك[٢]، والله سـائلك عن ذلك كلِّه، وتظهـر منك الحزن، وتُوهم النـاس أن ذلـك من شـدَّة همِّك بالآخـرة، وإنما ذلك منـك تَصنُّـع تُحِبُّ أن يحمدوك على ذلك، فإذا أنت[٣] قد هَلَكت مِنَ الوجهيْن جميعا.

فخفِ الله في سَـرَائر أمورك وعلانيتها، واحْتقِر حسـناتك بجهدك، واسْـتكثر منها ما اسـتطعت، حتى يَعْظُم قدرك عند الله، وتَعْظُم حسـناتك، واستكبر صغير ذَنْبـك حتى يَصْغُر عند الله، وخَفْ مـن صغير ذُنوبك أن يُحْبِط الله به عملك كلَّه، وارْجُ بحسـناتك أن يمحـو الله بها عنـك كلَّ سـيئةٍ عَمِلْتَها، فارْجُ بحسـناتك[٤]، وخفْ سيئاتك، ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾[هود: ١١٤].

وينبغي للعبد أن يعْرفَ /٤٣ب/ عجزه وضَعفه، فينقطع سـببه عن[٥] نفسـه، ويرجـع إلـى العـزَّة[٦] والمَنَعَـة، ويَتوجَّـه إلـى الملـك[٧] القادر على مـا يريد بالاعتصام والتَّوكل، والاستصغار[٨] والاستنصار به على الأعداء، فيجد بذلك عنده[٩] العِزَّ، والـرَّوْحَ، والفرحَ، والمَنَعة[١٠]، ويُفَوض أمرَه إلى المَلِك الجبَّار، فمـا اختار له مِن شـيء رَضِي به وسـلَّم، فـإن عَرَض له بعْد ذلك غَـمٌّ أو تَرْويعٌ عَلِم أنها بَلْوى من الله، رَجَعَ إليه حينئذٍ بالانكسـار والافتقار إليه؛ لِمَا فرط منه، ويَطلـبُ الـرَّوْحَ والفرحَ بالتقوى، وهو اسـتماعُ العبـد إلى قول ربِّه مـا أمَرَه به فعله[١١]، وما نهاه عنه انتهى، حتى تكونَ كلُّها مجموعةً له في روضةٍ[١٢] واحدةٍ.

---

(١) «إليك» ساقط من (و).

(٢) في (أ): «غمك ذلك».

(٣) في(و): «فأنت».

(٤) في (أ): «حسناتك».

(٥) في (أ): «من».

(٦) في (أ): «العز».

(٧) في (و): «المالك».

(٨) «والاستصغار» ساقط من (و).

(٩) في (أ): «عند ذلك».

(١٠) «المتعة» ساقط من (أ).

(١١) في (و): «فعل».

(١٢) في (و): «روضوة».

فانظر يا أخي، لا تَدَع ما[١] فيه المَخْرجُ إلا خَرَجتَ منه، وما كان مما فرط منك مما لا حِيلة فيه إلا النَّدم والاستغفار: فاندم عليه ندما صحيحا بالقلق منك، والاضطراب في حظوظه[٢]، والاجتهاد قبل تفاوت الأيام، وهجوم الموت عليك، وأَكْثر مع الندم الصحيح ذِكْر ما ندمت /٤٤أ/ عليه، ولا تغتر أن[٣] أمكنك من الاستغفار.

ثم عليك بعْدُ بالتخلُّص من العائق الذي يُشْغِل عن الله عَزَّوَجَلَّ[٤]، حتى تكون مؤثرا لله على ما سِواهُ، وهذا هو الطريق إلى سبيل النجاة، والله المستعان.

واعلم يا أخي[٥] أن مِن دلالة[٦] العقول والعلوم تأسيسَ التقوى، فإذا كان كذلك، صار إلى حياة[٧] القلب قابلا للموعظة؛ معظما لما عظَّم الله، مصغّرا لما صغَّر الله، فإذا كان كذلك فقد حيي قَلْبُه بالعلم والعمل، ولو أنَّ رجلا أُحْيِيَ في كل يوم ألف مرة، ويكون بين الحياة والحياة موتة[٨] لخفَّت عليه حتى تكونَ حياةً دائمةً، تموتُ بها[٩] خواطر نفس ليس لها قَرَار، والخاطر إذا صُرم أصله[١٠] وقُطع، دخل عليه الحُزن والبكاء، فلا يكون مسرورا بالعارض، ولا يشتغل بالنِّعمة عن المُنعم بها[١١]، فهذه[١٢] سبيل النجاة إن شاء الله، والله المستعان.

❁ ❁ ❁

---

(١) في (أ): «مما».

(٢) في (و): «حضوضه».

(٣) في (أ): «ولا تفتر إن».

(٤) في (أ): «جل ذِكره».

(٥) «يا أخي» ساقط من (أ).

(٦) في (أ): «دلالات».

(٧) «إلى حياة» ساقط من (و).

(٨) في (أ): «مؤنة».

(٩) في (أ): «به».

(١٠) في (و): «حرم أمله».

(١١) «بها» ساقط من (أ).

(١٢) في (أ): «فهذا».

باب الخَاطر[1]

فـإذا[2] لم يكـن مع العبد ترْويع وغَم عند الخاطـر: / ٤٤ب/ فهو ميِّت، فإذا كان كذلـك، فليرجع إلـى التقوى، والإخلاص، والصـدق، والتخلص[3] مما يكره الرَّبُّ سبحانه[4].

والحيـاة تتولد[5] من العلم المفهوم، فإذا علم وفهم العمل بما أُمر[6] به قَبِلَ الموعظةَ والنصيحةَ بتعظيمه ما عظَّم الله سبحانه عَزَّوَجَلَّ، والقلب[7] الحي يكفيه غَمـزة فينْتبه، والقلـب الميت لو قُرِّضَ بالمقاريض لـم ينتبه ولم يحي، وذلك أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يقـول: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾[الأنعام:١٢٢]، وذلـك لمن قَبِلَ وأجـاب الداعي، ومـن[8] لم يقبل الموعظة ولم يُجِـبِ الداعي فإنه قال عَزَّوَجَلَّ فيهم[9]: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢١] .

ومَن علم أنه ميِّتٌ فقد حيي بعِلْمِه أنه ميِّت، ولا ينْفعه علمه[10] إلا بالقبول، وإيثـار الربِّ على هواه[11]، فمـن كان مقرًّا بأنه عاص، وليس يتحوَّل، ولا معه التَّرويـع والغَمُّ الشَّـديد، وهو علـى حالته التي ليْس يرضاهـا، ولا يبادر التوبة والتطهيـر: فهو ميـت، ولا ينفعه علمه إلا أن يتوب الله عليـه قبل موته، فيحيى بالتوبة، ويرجع / ٤٥أ/ إلى الرَّغبة والرَّهبة والطَّاعة.

---

(١) «باب الخاطر» ساقط من (أ).
(٢) في (أ): «وإذا».
(٣) في (و): «ويخلصه».
(٤) «سبحانه» ساقط من (أ).
(٥) في (أ): «والحياء يتولد».
(٦) في (أ): «بما أمره الله به».
(٧) «القلب» ساقط من (و).
(٨) في (و): «وفيمن».
(٩) «فيهم» ساقط من (أ).
(١٠) في (أ): «العلم».
(١١) في (و): «وآثار الرب هواه».

ومَـن أراد الله به خيرًا وفقه ونبهـه[١] مِن الزَّلة، وأيقظه[٢] مِـن الغفلةِ، وإنما هذه كلها موارث[٣] حبِّ الدنيا، واتباع الهوى وطول الأمل.

وقد ينبغي لـمن كان مبتغيا لنفسه[٤] طاعة ربِّه: أن يرْجو ما ثقُل عليْه من البر، ويتهـم ما خفَّ عليه من ذلك؛ لأن قليل الصدق يُثقل خفيف العمل، والكذب مـن التيـه[٥] في العمل، يُخفف ثقيـل العمل، وقليل الصـدق أوزن وأرْجح مِن كثير الكذب.

واعلـم أن إرادتك العمل[٦] عمل، فانظر في إرادتك حتى يَصحَّ لك عملُك، ويـراك الله لنيتـك طالبًـا ولها مصححـا كما يـراك في عملك مخلصـا، فـ«**إنما الأعمال بالنيات**»[٧].

واعلـم أنـك إن ظَفِـرْت بتصحيـح النيـة مع قليـل العمل ربحـت عملك، وظفرت بأكثر مِن عملك.

واعلم أنَّ عدوَّك يَنظر إلى ابْتِداء نيتك، وابْتِداء عملك، وقد يخفى عليك سقم نيتك، كما يخفى عليك سـقم غيْرك، فاحْذر أن تكون نيتك / ٤٥ب/ سقيمةً، فقم على تصحيحها، فإن العمل مُتابع للنية[٨]، إنْ صحَّتْ صحَّ، وإن فسدت فسد[٩].

واعلم أنَّ العدوَّ إذا رأى في نيتك سقما رغَّبك في ذلك العمل، ولم يُثقله عليك، بل يخففـه[١٠] عليك، مخافة أن يُفطنك بعضهم، فيـود[١١] حينئذ أن الناس كلهم

---

(١) في (أ): «من أراده الله وُفق ونُبه».
(٢) في (أ): «ويقظه».
(٣) في (أ): «مواريث».
(٤) في (أ): «مبتغي بنفسه».
(٥) في (أ): «النية».
(٦) في (أ): «للعمل».
(٧) أخرجه البخاري في صحيحه (رقم:١).
(٨) في (أ): «النية».
(٩) في (و): «فسد تفسد».
(١٠) في (أ): «يخفف».
(١١) في (أ): «يفطنك الله بالسقم وود».

أحبُّوك في ذلك العمل[١]، ومدحوك إذا ظفر منك بسقم النِّية، ويزيدك قوةً ونشاطا في عملك، ويُحسِّـنه عندك، وفي أعين النـاس، ويُحبِّبهم إليك، فكلما أثنوا عليك استحليت عملك، وخَفَّ عليك، وقد ستر عليك[٢] داء الحسنات وداء السيئات، ومِن داء الحسنات أنه لا يمنعك مِن تَرْكها إلا مخافةَ أن تسقط من أعين الناس.

واعلم أن رِبْحه منْك إذا سَقِمتْ نِيَّتك أكثر من ربحه منك إذا أحببْتَ الدنيا، واتَّسْعتَ منها، ومن داء السيئات سُقم نيتك.

واعلم أنَّ العدوَّ ربما أفسـدَ الحسناتِ أوّلا بسقم النِّية، وربما أفسدها آخرا بتعظيـم الناس لك، فإذا عَلِـم أنه قد أحبَّ ذلك، وهـو لا[٣] يجيبه إلى معصية خَلَّاه وذلك، /١٤٦أ/ فاحذر على عملك كلِّه من حيلة الخبيث.

وإذا رأيتَ العملَ قد خفَّ فكن أشدَّ ما تكون له حذرًا إذا خفَّ على نَفْسِك العملُ، فهو أفْسدُ ما يكون إذا صحَّ عندك.

واعلم أنَّ الشيطانَ أعرفُ بك وبما[٤] تهواه نفسك منك، ولا تَدَعْ العمل من أجل آفته، ولكن اعمل بنيَّةٍ وصحَّةٍ، واسْتَعِنْ بالله، وكن حَذِرا طالبا للخلاص، كارهًـا معاندًا لفسـاد العمـل، لا تُريد الثـواب إلا من الله وحـدَه وطلب الدَّار الآخـرة، ولا تعْمـل ليُعْطيـك في الدنيا ثوابا، فإنَّ الذي قـدَّر الله عَزَّوَجَلَّ أن يصل إليـك مـن رزْق أو أجْر أو ثناء فإنه صائر إليك، فعليـك بالصِّدق فاتخذه ذُخرا ليوم ينفع الصَّادقين صِدْقهم.

وانظـر إذا صحَّ عملُك عنـدك، فكنْ أخوفَ ما تكون من فسـاده، ولا تأمن عليه من الفساد فيفسده، فإن آفات[٥] العمل الأمن عليه.

---

(١) «في ذلك العمل» ساقط من (و).
(٢) في (أ): «عنك».
(٣) «لا» ساقط من (و).
(٤) في (أ): «وربما».
(٥) في (أ): «آفة».

واعلـم أن الأمن على الحسـناتِ أضـرُّ عليك من السـيئاتِ، [والأمن على السيئات أضر عليك من السيئات][1].

واعلـم أن أمْنَك على الحسـنات[2] أحبُّ إلى إبليس -لعنه الله- من سـيئةٍ، وقُنوطك بعْد السـيئة أحبُّ إلى /٤٦ب/ إبليس مِن سـيئةٍ، واسـتصغارك لسيئة كبيرة أحب إليه من سـيئة[3] بعد سـيئة، واسـتصغارك لسـيئة أردتهـا ثـم تركتها أحبُّ إليه من كبيرة عملتها ثم اسـتغفرت منها[4] لِعِظَمها عندك، فافهم ما ألقي إليك[5] من هذا الباب، واحذره.

واعلم أنَّ إبليس الخبيث يُجري على ألسـنة الناس مديح[6] الصادق ليفسد عليـه صدقـه[7]، ويزيـدُ الـكاذب في عمله قـوة[8] حتى يسـاوي بيـن الصادق والكاذب، فاحْذر تجديد القوة في العمل عند تجديد المديح؛ فإن له سَـوْرَة[9] وسلطانا، يزيد الكاذبَ كَذِبًا، ويُفْسدُ على الصادق صِدْقه.

فـلا تُظهرنَّ الخوفَ من قلبك، ولا تُظهرنَّ قلَّةَ الخوف، فإن إظهارك[10] قلَّة الخـوف هو من قلَّـة الخوف، وهذا بابٌ فيه فسـادٌ للعمل كبيـرٌ، وهو رياء فيه لُطف وله حلاوةٌ.

---

(١) زيادة من كتاب المدخل لابن الحاج (٣/ ٥٨).

(٢) في (أ): «الحسنة».

(٣) «واستصغارك لسيئة كبيرة أحب إليه من سيئة» ساقط من (و).

(٤) «منها» ساقط من (و).

(٥) في (أ): «لك».

(٦) في (و): «بمديح».

(٧) في (و): «ليفسد عمله».

(٨) في (و): «قوة في عمله».

(٩) قال ابن فارس: «السين والواو والراء أصل واحد يدل على علو وارتفاع، من ذلك: سار يسور: إذا غضب وثار، وإن لغضبه لسَوْرَة، والسور: جمع سورة، وهي كل منزلة من البناء»، مقاييس اللغة: (٣/ ١١٥).

(١٠) في (أ): «اظهار».

وإياك أن تقول: واحزناهُ[١] على الحُزن، وأخاف ألا أكون أخاف، واحزناه[٢] علـى الأحْـزان؛ فإن هذه أشـياءُ مـن دقائق مداخـل إبْليس، والله سـائلك عن بكائك، وإظهارك الخوفَ والحُزنَ، وإظهارك أنك لست[٣] بحزين، وإظهارك أنك لا تخاف، وما تُظهر /٤٧أ/ من الانكسـار والتواضع، وإظهارك الهَمَّ بأمْر الآخِرة، وذمُّك نفسك[٤] وبنفسك، ماذا أردت بذلك كلِّه؟

ولإبليس في هذه الخِصَال مذاهبُ تَلتبس على كثير من الناس، وهي تُنسب إلـى خشـوع النِّفاق، فإن كنـت صَادِقًا فيهـا، فاحذر إبليس عندهـا، وفي وقتها حذرًا شديدًا، والله المستعان.

وانظـر كيف يكـون احتمالك إذا قال لك غيرُك: ما تقول[٥] أنت لنفسـك من الذَّم والوَقِيعة فيها، حتى يتبيَّن لك عند ذلك أصَادِق أنتَ في أفْعالك أو[٦] كاذب؟

فـإذا كان باطنـك في ذلك[٧] كظاهرك لم تبـالِ كيف كان أمـرُك، وقُمْ على باطنك أشدَّ من قيامك على ظاهرك، فإنه الموضع الذي الله فيه مطلع[٨]، فَنظِفْه وزَيِّنه لينظر[٩] الله إليه أشد ما تُزيّن ظاهرك لنظر غيره، فافهم ما أقول لكَ بعناية منك وقَبُول.

واعلم أن فرائضَ جوارحك إنما تقومُ بفرائض قَلْبك.

واعلـم أن النِّيـةَ والصِّدق والإخـلاص فريضةٌ تُقام بهـا الفرائضُ، /٤٧ب/ وتُبنـى عليها الأعمالُ، وتَـركُ الذنوبِ فريضة تقام بهـا الفرائض[١٠]، ولا تقوم

---

(١) في (و): «وأخذناه».
(٢) في (و): «وأخذناه».
(٣) في (أ): «ليس».
(٤) في (أ): «لنفسك».
(٥) في (أ): «تقوله».
(٦) في (أ): «فعالك أم».
(٧) «في ذلك» ساقط من (أ).
(٨) في (و): «فيه الله يطلع».
(٩) في (و): «لنظر».
(١٠) «تقام بها الفرائض» ساقط من (أ).

هـذه إلا بهـذه، ولا تُقبل فريضةٌ ولا نافلـةٌ إلا باجتناب المحـارم، ولا يَتم لك ذلك إلا بإحْكَام فرائض القلب، كما لا تُقبل نافلةٌ حتى[1] تؤدَّى فريضة الطهور قبـل الصلاة، وفريضة تطهير[2] ترْك المعصية قبل الوضوء، وكلُّ برٍّ فيه معصية فهـو مـرْدود، ومحـال أن يُتقرَّب إلـى الله بمعاصيـه، ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾[الحج:٣٥] .

واعلـم أن الله فرَضَ الإرادة لـه بالإيمان والأعمال أن[3] يراد بهما[4] وجهه، فأصاب المؤمنُ الصادقُ بنِيَّته الفريضتين جميعًا؛ الظاهرة والباطنة.

واعلـم أنك إن عملـت بما وصفتُ لك، ثم عُرِضَتْ عليـك الدنيا بما فيها على أن تُظهر حسناتك وترائي بها: ما فعلتَ.

واعلـم أن المريـد في تـرْك الميتـة يخـاف اللهَ إذا اضطر إليها وهـو يقذرها ويعافها[5]، ويخاف الله[6] /٤٨أ/ أن يَشـبع منها، ويخاف منه أن ينالَ منها، وهو مُسْـتغن عنهـا، ويخاف أن يدخـر[7] منها، وهـو محتاج[8] إليهـا، وهو يخاف من الله أن يعصيه فيما أحلَّه له، ويخاف أنْ يشبع مما أباحه له.

فمَـن قـام في هذا المقام في أمـر[9] الدنيا، فقد بلغ الغايـة[10] من الزهد فيها، وأقام الأشياءَ كلَّها التي في الدنيا مقام الميتةِ، فإنما ينال منها البُلْغة عندما اضْطُرَّ

---

(١) في (و): «حتى لا»، ولا يستقيم المعنى بذلك.
(٢) «تطهير» ساقط من (أ).
(٣) «أن» ساقط من (أ).
(٤) في (أ): «بها».
(٥) في (و): «ويعافيها».
(٦) «إذا اضطر إليها وهو يقدرها ويعافها، ويخاف الله» ساقط من (أ).
(٧) في (أ): «يؤخر».
(٨) في (و): «يحتاج».
(٩) في (أ): «في أهل».
(١٠) في (و): «أبلغ به الغاية».

إليهـا، ويخاف من الله أن يترك[١] أخْذ تلك البُلْغة في وقت الضرورة أن يُعذَّب على تَرْكها، كما يخاف أن يُعذَّب على أخذ الحرام البيِّن.

واعلم أن تَمام الأشياءِ كلِّها إنما هو بالقيام بما أمرك الله به[٢]، والانتهاء عما نهاك[٣] الله عنه.

واعلـم أنه ليـس من عَقْلـك أن يأخذ ميتةً فتحـزنَ عليهـا، ولا إن فاتتك[٤] حزنت عليها، ولا إنْ وجدتها فرحتَ بها؛ لأنك منها على مَقْتٍ لها وتَقَذُّر منك لها، فإذا خِفْتَ منها أن تَنالها نَفَتِ المخافة التي حلَّت بقلبك حلاوتها، /٤٨ب/ وهـي الدنيا تأخذ[٥] منها بما أقامَ صُلْبك، وأدَّيت به[٦] فرْضَكَ، ودَعْ ما سـوى ذلك منها يكفيكه غيرُك، والذي تحتاج إليه من الدنيا يسـير[٧]، وهو ما تسْتر به عورَتك، وتُقيم به صُلْبَك لأداء فرائضك، وما كان وراء ذلك فهو من الدنيا.

ومُنتهى طلب الآخرةِ تَرْك الدنيا، ومُنتهى طلب الدنيا جمع[٨] ما أحْبَبتَ من الدنيا، فإذا رأيتك تأنس بقرب الدِّينار والدِّرهم، وتَسـتوْحش لِفَقْدهما، فاعلم أنك مُحِبٌّ للدنيا، ومَن كان محبا للدنيا، فهو قَالٍ[٩] للآخرة.

❁ ❁ ❁

---

(١) في (أ): «ترك».
(٢) «به» ساقط من (أ).
(٣) في (أ): «نهى».
(٤) في (أ): «فاتت».
(٥) في (أ): «فتجزى».
(٦) «به» ساقط من (و).
(٧) في (أ): «يسيرها».
(٨) في (و): «جميع».
(٩) في (أ): «قالي».

باب الزُهد في الدنيا[(١)]

واعلـم أن الناس في الزهـد على طبقات؛ فمنهم آخذ وهـو تارك[(٢)]، ومنهم تـارك وهو آخذ، وإنما يحمد ويَصحُّ هذا الأمر لمن ترك الدنيا، وزَهد فيها بعْد قدرته عليها.

ومن الناس من يكون مُصَلِّيا نائما، وآخر نائما مصلِّيا، ومفطرا صائما، وصائما مفطرا، وكاسـيا عاريا، وعاريا كاسيا، وإنما ذلك كلُّه على / ١٤٩أ/ **متصرف إرادة القلب، وتصحيح النية، وفسـاد إرادة القلب، وفساد النية، والسلامة من الكسب الخبيث، والقول الخبيث**، وفي هذا كلام يكثر[(٣)] إلا أن **مَن صدق أبْصر**.

وينبغـي للعالـم بالله، وبما أمـره الله به ونهـاه عنه: أن يكون قـد ملأت قلبَه عظمةُ الله، فاشـتغل بالقيام بحقوق الله عَزَّوَجَلَّ عـن كل فُضول الدنيا من الأكل، والشرب، واللِّباس، والبنيان، والمراكب، والأزواج، والأولاد، والخدم، وإن كان فيهـم لمن تكون له الزوجةُ والولد، وأشـياء مما ذكرنا لم يأخذ ذلك على الرَّغبة، ولـم يَشغله عن فهم وعْد القرآن ووعيده.

واعلـم أن القـوم لمَّـا وصَلُوا إلى ما وصلـوا إليه: لم يغترُّوا بـدار الغرور، ولـم تكن لهم هِمَّة إلا خوف فوات ما شـوَّق إليه وَعْدُ القرآن من النعيم في دار الأمـان، ووعيد الخلود في دار الهـوان، ففي[(٤)] هذا بلاغ لقوم عابدين[(٥)]، وإنما دعا إلى دار السلام مَن خلقها، وزيّنها، وحلَّاها[(٦)].

---

(١) في (أ): «باب في الزهد وما جاء فيه». (٢) «وهو تارك» ساقط من (و).

(٣) في (أ): «كثير».

(٤) في (أ): «وعد القرآن ووعيده من الخلود في دار النعيم أو دار الهوان وفي».

(٥) قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٦].

(٦) «وحلاها» ساقط من (أ).

فَخُـض الغمرات شـوقا /٤٩ب/ إلـى نعيمهـا، وأَجِبِ الدَّاعِـي[١] الصادق الـوفي بما وَعَدَ ودعاك إليه، فإنه قد حذَّرك نفْسـك وهـواك[٢]، وأنذرك حلول دار سـخطه، والتخلص من ذلك كلِّه، والوصول إلى نعيم دار الخلود رَفْضُ[٣] المحبوب من اتباع الهوى فارفضه.

ثم اجْعل الموتَ ضجيعَك، والزهدَ قرينَك[٤]، والجِدَّ سـلاحَك، والصدقَ مركبَـك، والإخـلاصَ زادَك، والخوفَ مـن الله على مقدمتك، والشـوقَ إلى الجنة صاحب لواءَك، والمعرفةَ على ميمنتك، واليقينَ على ميسرتك، والرضا وزيـرَك، والعلمَ مُشـيرَك، والتوكلَ دِرعَك، والثقةَ على سَـاقَتِك، والصبرَ أميرَ جندِك، والشـكرَ خَلِيلَك، ثم انفـر إلى عدُوك، وَصَافِّه بجميـع ما ذكرتُ لك، وأطِبْ نفسًـا عن دار الهُمـوم والأحْزان إلى دار البقاءِ والسُّـرور مع الخيراتِ الحسانِ، والله المستعان، والحمد لله رب العالمين[٥].



(١) في (أ): «التداعي».

(٢) في (و): «وهواه».

(٣) في (و): «رفق».

(٤) في (أ): «قربتك».

(٥) «والحمد لله رب العالمين» ساقط من (و).

باب ما جاء في[1] درجات أولياء الله تعالى[2]

فلينظر العبْدُ إلى الله تعالى في كل أَمْره، فإنه مَن نظرَ إلى / ٥٠أ/ نفسه أو إلى أَحَدٍ من المخلوقين يأمل[3] رجاء منْفَعتهِ: كان عَزُوبًا لقلبه عن الله، وكان منقوصًا عن منزلة الواثقين المُؤيَّدين.

وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ ذِكْره لداود: **«يا داود[4] إني قد آليت على نفسي ألا أثيب عبدًا من عبادي إلا عبدًا قد عرفتُ من طِلْبته وإرادته، وإلقاء كنَفِه بيْن يديَّ أنه لا غنى له عني، وأنه لا يطمئن إلى نفْسه بنظرها[5] وفِعَالها إلا وكلتُه إليها، أضف[6] الأشياء إليَّ، فإني أنا مننتُ بها عليك»**[7].

واعلم أن العباد إنما تفاوتوا، وتباينوا **بالنظر إلى الله في أمورهم -في صنعته ومعونته ولطفه- وبالسَّهو عنه اختاروا لأنفسهم غير[8] نظر ربِّهم**، فزادهم ذلك بطئا[9]، وبُعْدا من معونةِ[10] الله تعالى لهم[11]، وصُنعِه وتسْهيلِه عليْهم.

فكنْ في نظرك إلى ربك ناظرًا لا تأمل غير صُنْعه، ولا ترجوا غير معونته[12]، واثقًا باختياره؛ فإن ذلك أقربُ وأسْرعُ في معونته لك، فإن الذين قلَّدوا أمورهم رَبَّهم، ووثقوا به[13]، ولجأوا إليه: قد أماتوا من قلوبهم / ٤١ب/ تدبير أنفسهم،

---

(١) «ما جاء في» ساقط من (و).
(٢) في (أ): «تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ».
(٣) في (أ): «بأمل».
(٤) «يا داود» ساقط من (أ).
(٥) في (أ): «ينظرها».
(٦) في (و): «أخف».
(٧) أخرجه بألفاظ متقاربة أبو إسحاق الختلي في المحبة لله سبحانه (رقم: ٢٤٨).
(٨) في (أ): «على».
(٩) في (أ): «إبطاء».
(١٠) في (و): «معرفة».
(١١) «لهم» ساقط من (أ).
(١٢) «ولا ترجوا غير معونته» ساقط من (و).
(١٣) «وثقوا به» ساقط من (و).

وجعلوا الأمور عندهم أسْبابًا مع قيامهم بها، والمحافظةِ عليها، فأولئك ذهبوا بصفو الدنيا والآخرة لسكون[١] قلوبهم إليْه، فأوجب لهم صنْعه[٢]، فوجدوا بذلك الرَّوْح والرَّاحة.

فهم بالله[٣] جهابذة الدِّين، والعُلماء بالله، قد فَاقُوا على مَن سِوَاهم على اطمئنانهم[٤] به وسكونه إليه، فأوجب لهم صنعه، وأقام قلوبهم على منهاجه، فما تقلبوا فيه من الأمر[٥] فعلى[٦] الرِّضا والطمأنينة[٧] به[٨]، ومَن سواهم مِن الخلق في مَؤنةٍ وتَعَب مِن أنْفسهم حيث اختاروا لها[٩]، وتوكلوا عليها، فأورثتهم الهَمَّ والاغتمام.

وأما **أهل العبودية لله** فهم الذين قَلَّدوه أمورهم، وخرجوا من طبائع العباد بما[١٠] تبيَّن لهم من خطأ مَن اختار لنفسه[١١]، فجعلوا اختيارهم الرِّضا بما صيَّرهم الله إليه من أمورهم، فزالت الغُموم عن قلوبهم، فأوْجب لهم الصُّنْعَ[١٢] والتوفيقَ في أحوالهم، وأورثهم الغنى والعِزَّ في قلوبهم، وسَدَّ عنهم أبوابَ الحَاجَاتِ إلى المخلوقين، وأتتْهم ألطاف[١٣] الله من حيث لا يشعرون[١٤]، وقام لهم بما يكتفون به، ونزَّه أنفسهم عمَّا سِوَى ذلك إكْرامًا لهم عن فُضول

---

(١) في (و): «بسكون».
(٢) «فأوجب لهم صنْعه» ساقط من (أ).
(٣) «بالله» ساقط من (أ).
(٤) في (أ) و (و): «اطمانيتهم».
(٥) «على اطمانيتهم به وسكونه إليه ... فما تقلبوا فيه من الأمر» ساقط من (و).
(٦) في (و): «على».
(٧) في (و) و (أ): «والإطمنانة».
(٨) «به» ساقط من (أ).
(٩) «لها» ساقط من (و).
(١٠) في (أ): «لما».
(١١) في (و): «نفسه».
(١٢) الصنع: العمل، ولا يُنسب إلى حيوان أو جماد، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:٩٩]. المعجم الوسيط (١/ ٥٢٥).
(١٣) في (أ): «لطائف».
(١٤) في (أ): «لا يحتسبون».

الدنيا، / ٤٢أ/ وطهارةً لقلوبهم عن التشاغل بما أغناهم عنه، فحصَّنهم[١] عن كل دَنَس، وأمشاهم في طُرقات الدنيا مطمئنين، مُوالين له.

فهم أشهر في السماوات[٢] منهم في الأرض، ولأصواتهم هناك[٣] دَوِيٌّ ونور يُعْرفون به، ويحيون عليه، وقد رفع أبْصار قلوبهم إليه، فهي ناظرة إليه، فتلك[٤] القلوب غيْر محجوبةٍ عنه بلا إدراك منهم لصفة ولا صورة، ولا حد ولا إحاطة منهم به سبحانه، ولكن كيف شاء ذلك لهم فأحبَّهم، وحبَّبهم إلى ملائكته وسائر خلقه.

وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ[٥]: «**يا داود تفضَّل على عبادي أكتبك من أوليائي وأحبَّائي، وأباهي بك حملة عرْشي، وأرفع الحُجب بيني وبينك، فتنظر إليَّ ببصر قلبك، لا أحجبك عن ذلك ما كنت مُسْتَمسكا بطاعتي**»[٦].

[**وما أحدث الله**] **مِن بلاء أو مصيبة أو رخاء أو شدة مما أحب أو أكره**، كان قلبه بذلك راضيا لموضع الثقة بربه[٧] وحُسْن الظن به، فإذا كان العبدُ / ٤٢ب/ كذلك ورَّث الله قلبه المحبة له والشوق إليه، وصار إلى **منزلة الرضا** بما كفاه وحماه من الدنيا وإن قلَّ، وأخرج من قلبه مطامع المخلوقين فاستغنى بالله، **فجعله[٨] الله مِن أُولي الألباب، ثم أَلْهَمه الله علما مِن علمه، فعرَّفه ما لم يكن يعرفه، وعلَّمه ما لم يكن يعلمه، فعن الله أخذ علمه**، وبأمْر الله جل ذكره

---

(١) في (أ): «فحضنهم»، وفي الهامش: «خ: فحصنهم».
(٢) في (أ): «فهم في السماوات أشهر». (٣) في (أ): «هنالك».
(٤) في (أ): «بتلك». (٥) في (أ): «تَبَارَكَ وَتَعَالَى».
(٦) أخرجه بألفاظ متقاربة أبو إسحاق الختلي في المحبة لله سبحانه (رقم: ٢٤٨).
(٧) في (أ): «لربه».
(٨) في (و): «جعله».

تأدَّب، فطهرت أخلاقه لمَّا آثر أمْر الله، ولجأ إليه، فتمَّتْ عليه نعمة الله في الدنيا والآخرة.

فأولئك المحبوبون[١] في أهل السماوات، المعروفون[٢] فيها، خفي أمْرهم على أهل الأرض، وظهر أمْرُهم لأهل السماوات، لكلامهم هناك[٣] دَوِيٌّ، ولبكائهم حَنين، وتُقَعْقع لهم أبواب السماء من سُرْعة تَفتُّحها إجابةً لدعائهم.

فَعَظُم بهم عند الله جَاهًا ومنزلة، وعَظُم بهم خوفًا من الله وحُسْن ظنٍّ به، فهم مسْرورون بربهم، قريرة أعينهم، طَرِبة قلوبُهم بذكره، مُشْتَاقة، ساكنة، مطمئنة إليه، قد تقدموا الناسَ، وانقطع الناسُ عنهم، وأشرفوا على الناس، واشتغل[٤] الناس عنهم، فعجبوا من الناس، / ١٤٣أ/ وعَجِب الناسُ منهم، وانقطعوا إلى الله بهمومهم وأهوائهم، وعَلَّقوا به قلوبهم، ولجئوا إليه[٥] لَجْأَ المستغيثين به، الواثقين به[٦]، المتوكلين عليه.

وقد تخلصت إليه عقولهم[٧] بالمودَّة، فأنزلوا إليه[٨] نسْيانه معصيةً[٩] محرَّمة عليهم[١٠] فقبلهم، واجتباهم، وصانعهم، وحصَّنهم[١١]، وكفاهم، وآواهم، وعلَّمهم، وعرَّفهم، وأسمعهم، وبصَّرهم، وحجبهم عن الآفاتِ، وحجب الآفاتِ عنهم، وأقامهم مقام الطهارة، وأنزلهم منازلَ السلامة، وأقام قلوبهم

---

(١) في (و): «المحبون».

(٢) في (و): «المعروفين» بالرفع.

(٣) في (أ): «هنالك».

(٤) في (أ) و (و): «وأسْفَل»، والأولى والمناسب للسياق ما أثبتناه.

(٥) في (أ): «إلى الله».

(٦) «الواثقين به» ساقط من (أ).

(٧) في هامش (أ): «خ: قلوبهم».

(٨) «إليه» ساقط من (أ).

(٩) في (أ): «مصيبة».

(١٠) في (و): «عليه».

(١١) في (أ): «وصنعهم وخصهم».

بذكره، فلم[١] يريدوا به بدلا، ولا عنه حولا، صبابةً[٢] إليه، وطربًا واشتياقا إليه، قد أذاقهم من حلاوة ذِكْره، وألْعَقَهم من لَذَاذة[٣] مناجاته، وسقاهم بكأسه، فهم وَلِهُون[٤] إليه، ليس لهم سكن[٥] غيرُه، تضطرب قلوبهم عند فَقْده، حتى ترجع إلى مَوْضِع حنينه[٦]، يحتملون الأشياء إليه[٧]، ولا يحتملون شيئا من غروب[٨] أمْره.

ولهم في كل يوم وليلة منه هدايا مجدَّدَة، فتارةً يغْلب على قلوبهم / ٤٣ب/ تعظيمُ ربِّهم وجلالُه، وتارة يغلب على قلوبهم قدرتُه وسلطانُه، وتارة يغلب على قلوبهم آلاؤه ونَعْماؤه، وتارة يغلب على قلوبهم تقصيرُهم في واجب حقِّه، وتارة يغلب على قلوبهم رأفتُه ورحمتُه، وتارة يصيرون إلى حنينه، ولهم في كل تارة دمعةٌ ولذَّة، وفي كل دَمْعةٍ ولذَّةٍ فِكْرةٌ وعِبْرةٌ، وقلوبُهم في كل[٩] فكرةٍ وعِبْرةٍ مُهْتاجة[١٠]، طربة، هائمة بذكر[١١] الله، مُشْتغِلة به عمَّا سواه، فهم يسقونها من كل تارة مَشْربا سائغا[١٢]، يُذيقهم الله لذّته.

ولهم في كل مقام علم زيادة، يُعَرفُهم ما يحدث لهم في قلوبهم مِن الزيادة، فلو رأيتهم وقد تقطعت آمال الخَلْق عندهم[١٣]، وأفضوا إلى الله جل ذِكْره بجميع رغباتهم، وانزاحتِ الأشياءُ الشاغلةُ عن قلوبهم، فصُمَّت عنها

---

(١) «فلم» ساقط من (أ).
(٢) في (أ): «صيانة».
(٣) في (و): «لذاذات».
(٤) في (أ): «ولهين».
(٥) في (أ): «سكنا» بالنصب.
(٦) في (و): «جبينه».
(٧) في (أ): «له».
(٨) في (أ): «غرور».
(٩) «كل» ساقط من (و).
(١٠) في (و): «مهياجة».
(١١) في (أ): «لذكر».
(١٢) «سائغا» ساقط من (و).
(١٣) في (أ): «عنه».

أسـماعُهم، وانصرفـت أبصارُهـم[١] إليه، فلمَّت بـه عمن[٢] سـواه، حتى إذا جنَّهُـم الليل، وزجرهـم القرآن بعجائبه مِـن وعده ووعيـده، / ١٤٤أ/ وأخباره وأمثاله: شـربوا من كل نوع كأسـا من الزَّجر، والتحذير، والأخبار، والأمثال، والوعد، والوعيد، وشـربوا[٣] ووجدوا حلاوة ما شربوا، حتى إذا صفا يقينُهم ارتفعوا إلى عظمة سيِّدهم، وجلال مولاهم، خضع كل عضو منهم لمليكه[٤]، وخشعت[٥] كل جارحة منهم لسكونها[٦]، غير منتشرة عليهم همومهم، بل كل ذلك لذاذة لاستماعه.

فقد كشف لهم القرآن عن أموره، ويكشفونه عن عجائبه، ويدلهم على باطن علمه فيفهمونه، فيَسْـمُوا بهم إلى جلال سـيدهم ووقاره، حتـى إذا تقاررت[٧] الأنـوار في قلوبهـم، وتمكَّـن اليقين مـن أجوافهـم، وحنَّتِ القلـوب بحنينها، وضاقتْ عن احتمال ما قد[٨] هجم عليها، هاج عليهم[٩] ما لا يملكون إمْساكه.

فلما بلغ الأمرُ منهم مَداه، وانتهى كل شـيء منهم منتهاه: أقبل عليهم ربُّهم جَلَّ ذِكْره بالطمأنينة والسُّكون، فلولا حُسْن سياسته لهم، ونظره ولطفه بهم، ما رَجَعَتْ إليهم عقولهم، ولا أثبتوا / ٤٤ب/ معارفهم، وما سكنوا منازلهم؛ للذي هجـم على أبْصـار قلوبهم من عَظَمةِ سـيِّدهم، فهم يزدادون لـه ذِكْرًا، ومودة، وحبا[١٠] في كل ما امتحنهم به من أمر الدنيا والآخرة.

---

(١) في (أ): «أبصار قلوبهم».
(٢) «من» ساقط من (أ).
(٣) «وشربوا» ساقط من (أ).
(٤) في (أ): «لملكه».
(٥) في (و): «وخضعت».
(٦) في (و): «بسكونها».
(٧) في (و): «تقاربة».
(٨) «قد» ساقط من (أ).
(٩) في (أ): «منهم».
(١٠) في (و): «وحياء».

فقد أعْرضوا عن ذِكْر[١] كل نعيم عاجل وآجل[٢]، وتشاغلوا بالنعيم بذِكْر مولاهم، وكل ذلك مِنَّةٌ منْه وتَفَضُّلٌ عليهم، فهم أدِلَّاء للعباد وأعلام في بلاده[٣]، وحُجةٌ له على خَلْقِه، وخلَفُ الأنبياء[٤]، وودائعُ علمه، **فبهم يَنْزل الغيثُ، وبهم يُصْرفُ العذابُ، وبهم يُنصر على العدوِّ**[٥].

فهم بركة بين ظهراني العباد، يحبون الله، ويحبون ذِكْره، أقاموا مشيئتهم[٦] فيما وافق محبَّة ربِّهم، يغْضبون لغضبه، ويحبون لمحبَّته، فهو[٧] يسوسهم بسياسته، ويُوفِّقهم بتوفيقه، يأتيهم العونُ من ربهم[٨]، في كل حال يرْحمون الخَلْق برحمة ربِّهم، ويأملون[٩] فضله لهم[١٠].

قد أزال[١١] عن قلوبهم المطامع، وأسكنها الغنى، فاكتفوا بما جزاهم، وتَبلَّغوا بما بلَّغهم، فهم القانتون، الرَّاهبون، السَّائحون، الرَّاغبون، المحبون لله، الذين فكَّرُوا / ٤٥أ/ في قدرته، وعملوا في محبَّته حتى ورثوا الرَّهبة[١٢]، ثم ورثوا الرغبة[١٣]، ثم ورثوا بعْد الرَّغبة الشَّوْق، ثم رفعهم إلى منزلة لم يكن لهم في غير ربهم نهْمة[١٤]، فَعَلَتِ المحبة[١٥] على قلوبهم، واستولتْ على عقولهم

---

(١) «ذكر» ساقط من (أ).

(٢) في (أ): «أو».

(٣) في (و): «في عباده».

(٤) في (أ): «للأنبياء».

(٥) ويطلق عليهم: الأبدال، أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ٢٩٨) عن أبي الزاهرية قال: «الأبدال ثلاثون رجلا بالشام، بهم تجارون، وبهم ترزقون، إذا مات منهم رجل أبدل الله عَزَّوَجَلَّ مكانه».

(٦) في (و): «مشيئة».

(٧) «فهو» ساقط من (أ).

(٨) في (أ): «من الله».

(٩) في (أ): «ويؤملون».

(١٠) «لهم» ساقط من (أ).

(١١) في (و): «زال».

(١٢) في (و): «الرغبة».

(١٣) «ثم ورثوا الرغبة» ساقط من (و).

(١٤) في (أ): «تهمة».

(١٥) في (أ): «فغلبت»، و«المحبة» ساقطة منها.

وأهوائهم، فبَنَوا على ذلك أعمالهم، وصيَّروا فيه جميع رغباتهم، ثم رفعهم إلى مزيد فوائدهم[١].

فهم أوْلياء الله حقّا؛ منهم المُرْسلون، والنبيُّون، والصِّديقون، والشُّهداء، والصالحون[٢]، فَاقُوا أهل السماء[٣] وأهلَ الأرض لشدة حُبِّهم لربِّهم، فما أصابوا من الدنيا لم يصيبوه على جهة ما يصيبه[٤] أهل الدنيا من التلذذ والطرب إليه، والاشتغال به والتَّفكُّه، إنما يُصيبُونه على مَوْضِع التقوية على عبادة ربِّهم، ويودّوا لو أنهم أكلوا من الدنيا أكلة واحدة[٥] تكون آخر زادهم منها، اكتفوا بما قَلَّ وكفاهم، فلما أَعْطوا الله ذلك من قلوبهم ضَيَّق أمعاءهم، وأسقط عنهم شهواتهم، فاكتفوا[٦] باليسير من المطعم.

فعند ذلك خفَّت عنهم[٧] مؤْنة الدنيا، فلم ينافسوا / ٤٥ب/ فيها أحدًا، فتلك حالاتهم في المطعم[٨] والملبس، ما تهيأ[٩] أكلوه ولبسوه، ليس لهم فيه[١٠] تخيير، ولا تَلذُّذ في أَخْذٍ ولا تركٍ؛ خَوْف الشهوة والاشتغال عمَّا هم فيه، فأَسْكن الله قلوبهم من معرفته وحبِّه ما أذاب كل مَودَّة لأهْل أو ولدٍ أو مال، فإن عَرَضَ مِن ذلك في قلوبهم عارض، فمن خاطر[١١] من غيْر ثبتٍ[١٢] فيها.

وَرِثُوا نور[١٣] الهدى[١٤] فأبصروا مواضع حيل[١٥] إبْليس ومَكْرِه، فكسروا

---

(١) في (أ): «إلى مزيده وفوائده».
(٢) في (و): «الصالحين».
(٣) في (و): «أهل الدنيا».
(٤) في (و): «يصيبوه».
(٥) «أكلة واحدة» ساقط من (و).
(٦) في (أ): «واكتفوا».
(٧) في (أ): «عليهم».
(٨) في (و): «المطمع».
(٩) في (أ): «تهايا».
(١٠) «فيه» ساقط من (أ).
(١١) في (أ): «فبخاطر».
(١٢) في (و): «تثبت».
(١٣) «نور» ساقط من (و).
(١٤) في (أ): «الهوى».
(١٥) «حيل» ساقط من (و).

عليه كيْده، ولبَّسوا عليه أمره، ودلُّوا الناسَ على مواضع مَكْره، فهم نصحاء الله في عباده، وأمناؤه في بلاده، ثم أسكن محبَّتهم في ملكوت السماء في عليين، فحبَّهم وحبَّبهم إلى ملائكته.

فأحيوا قلوبكم أيها المريدون بالذِّكر، وأميتوها بالخشية، ونوِّرُوها بحب لقاء الله، وفرِّحوها بالشَّوْق إليه، واقْمَعُوها بالمناصحة.

واعلموا أنكم بالمحبة ترتفعون، وبالمعرفة ترهبون، وبالشوق ترغبون، وبحُسْن النِّية تقهرون الهوى، وبِتَرْك الشهواتِ تصفوا لكم أعمالكم، وتوثرون ربكم وحده[1]، حتى / ٤٦أ/ يورثكم[2] ملكوتَ السماءِ في عليين.

فمن كان منكم مريدًا للرَّاحة، فليعْمل في منازل **أهل محبَّةِ الله جل ذكره** بعزم، وإرادة قوية[3]، وهي **الدَّرجات السَّبع** التي ينتقل فيها بنو آدم حتى يصيروا إلى **المعرفة والعلم**، وهي الدرجات التي أَرسل الله جل ذكره عليها الرُّسل، ثم الأنبياء، ثم[4] الذين لم يأتهم الوحي مع جبريل عليه السلام، ولا غيره من الملائكة، **إنما يكون[5] ذلك بالإلهام من الله عَزَّوَجَلَّ والفوائد**، وإنما وَرِثُوا ذلك الأنبياء من المرسلين الذين خصَّهم الله برسالته[6]، ثم وَرَّثُوا ذلك الأنبياءُ الصديقين[7] من بَعْدهم فاقتدوا بهم، وأخذوا[8] في آثارهم، فإنه لم يحكم هذه

---

(١) «وتوثرون ربكم وحده» ساقط من (و).

(٢) في (و): «تورثكم».

(٣) في (أ): «وقوة».

(٤) «ثم» ساقط من (أ).

(٥) في (أ): «إنما كأن يكون».

(٦) ورد في (و) بعد هذا: «ثم ورثوا ذلك الأنبياء من المرسلين الذين خصَّهم الله برسالته»، وفيه تكرار.

(٧) في (و): «الصديقون».

(٨) في (أ): «وجدُّوا».

الدرجات السَّبع إلا نبي، أو رسول[١]، أو صِدِّيق، أو بديل من الأبدال[٢] **الذين جعلهم الله أوتاد الأرض، فسقى بهم الغيْث، وأنزل عليهم بدعائهم الرَّحمة، وصَرَف عنهم بهم السُّوء.**

فمن كان مُريدًا للعمل / ٤٦ب/ في هذه الدرجات، والاقتداء بالمرسلين والنبيين والصديقين في سيرتهم، فليرفض الدنيا مِن قلْبه، حتى لا يكون منها فيه علاقة تشغله عن ربِّه، فإن[٣] مَن تعلق قلبُه بشيء منها شغلتْه حتى تغلب عليه، فليبْدأ برفض الدنيا وطرحها[٤] من قلبه، حتى لا تعْدل عنده قَيْسَ[٥] جناح بعوضة، فإنها عند الله عز ذكره بتلك المنزلة وأصغر.

أول ذكر الدرجات السبع[٦]

وليكن **أوَّل ما يتناول من الدَّرجات؛ درجة المعرفة**، وهو أن يَعرف ربَّه كما ينبغي له، ومن حيث تعرَّف إليه ربُّه، فقد تعرَّف إلى خَلْقه بخَلْقه إيَّاهم، وتَدبيره فيهم، وبكتابة المنية[٧] على خلقه وتدبيره في خلقه[٨]، وبصفته بما وصف به نفسه، فإنه غفور رحيم لمن أناب إليه وطلب رضاه، وإنه شديد العقاب لمن كذَّب به، وكذَب عليه، وعَصَاه وكذَّب رُسُلَه.

واعلم أنه مَن لم يكن[٩] يُحَكِّم أمر المعرفة لم يُدْرك ما سواها من العِلم

---

(١) في (أ): «رسول ونبي».
(٢) أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ٢٩٨) عن أبي الزاهرية قال: «الأبدال ثلاثون رجلا بالشام، بهم تجارون، وبهم ترزقون، إذا مات منهم رجل أبدل الله عَزَّوَجَلَّ مكانه».
(٣) في (أ): «فإنه».
(٤) في (و): «بطرح الدنيا».
(٥) بمعنى قَدْر.
(٦) هذا العنوان ساقط من (و).
(٧) في (و): «بكتابه المنه»، ولعل ما أثبتناه هو الصواب.
(٨) «وبكتابة المنية على خلقه وتدبيره في خلقه» ساقط من (أ).
(٩) «يكن» ساقط من (و).

والعمل، ولا مـن الدَّرجات التي ذكرنا، ولا تكن[١] المعرفة حتى /٤٧أ/ تثبت في القلـب باليقين الرَّاسـخ، فـإذا كان ذلك كانت الأعمـال الخالصة على قَدْر المعْرفة، فإن قَصَّر في المعرفة كان في العمل أشـدَّ تقصيرًا، وأضعف لنيته، ولم يجدْ السَّبيل إلى بلوغ تلك الدَّرجات.

ومَـن عَـرَفَ الله، عَلِمَ[٢] أنه قائمٌ على نفْسـه بما كسـبتْ[٣]، وأنه معه يراه في جميع أحواله.

فإذا علم أن ذلك كذلك، لم يكنْ شيءٌ أحبَّ إليه من رضى ربه[٤] ولقائه، ولا شـيء[٥] أبغض إليه من معصيته وبقائه، فإن[٦] أحـبَّ البقاء في الدنيا لم يُحبَّه إلا للعمل بطاعته، ولينظر المريدُ للمعرفة في أسـماء الله جل وعزَّ، ويتدبرها[٧] حتى يعرفَه بها، ويدخلَ ذلك قلبَه، فإنه يُورث قلبه بذلك العلم، **وهي الدَّرجةُ الثانية**.

فـإذا كان عالمـا به، عَلِم أنه لا يقبـل منه[٨] إلا ما أمره بـه، ونهاه عنه، وعلم ذلك عنده أنه يُنشطه **للعمل الصالح**.

ثـم يورث[٩] قلبه بعْد ذلك الخشـية، **وهـي الدرجة الثالثـة**؛ درجة التقوى، يقـول[١٠] الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[فاطر:٢٨]، /٤٧ب/ وهي مراقبته في السِّـر والعلانية، فإذا دخل في هذه الدرجة الثالثة[١١] استقل كل

(١) طرة في (أ): «صوابه: تكون». (٢) في (و): «عرف».
(٣) في (أ): «قلبه بما كسب».
(٤) في (أ): «راضائه»، وفي الهامش: «خ: رضى ربه».
(٥) «شيء» ساقط من (أ). (٦) في (أ): «وإن».
(٧) في (أ): «وليتدبرها». (٨) «منه» ساقط من (و).
(٩) «يورث» ساقط من (أ). (١٠) في (أ): «لقول».
(١١) «الثالثة» ساقط من (أ).

مـا يفعـل[١] لله جل ذكـره، فعند ذلك لا يَأْلُـو جدًّا واجتهـادا[٢]، ولا يمل، فإذا وصل العبدُ إلى ذلك، ودَأَبَ على عمله فيما يُرْضي به[٣] ربَّه: نظر الله إليه بعيْن الرَّحمة[٤]، فعند ذلك يُورث قلبه الحب لله، **وهي الدرجةُ الرابعةُ**.

فـإذا وصـل[٥] إلـى هذه الدرجـة آثر حـبّ الله على حـبّ جميـع[٦] خَلْقه، وأحبّـه الله مـن فوْق عَرْشـه، وحبَّبـه إلى ملائكتـه [الذين] حول عرشـه، وإلى ملائكة السـماواتِ كلِّها، وأهل الأرض ومَن فيها، وبَسَـط حُبَّه على الماء، فلا يشربُ الماء أحدٌ إلا أحبَّه من جميع خَلْقِه، ولا يزداد في عَمَله إلا جِدًّا واجتهادًا، ثم يُورث قلبه بعد هذا: الشوقَ إليه والحبَّ للقائه، **وهي الدرجة الخامسة**.

فيكون بمنزلة العاشق الذي[٧] غلب على قلبه الذِّكر لله، وشُغل عن كثير من العمـل ما خلا الفرائضَ، واجتنابَ المحارم، ويكـون في تلك[٨] الحَال /٤٨أ/ أقوى من كل عامل في الدنيا وأرْفعه منزلةً؛ لأنه لم يَتفرَّغ قلبه من ذِكْر ربِّه طَرْفةَ عيْـن؛ نائمـا ولا قائما، آكلا ولا شـاربا، والله لا ينْسـى مَن ذَكَـره، فلو تركه الله علـى تلك الحال لذاب كما يَذُوب الملح في الماء، ولَمَا انتفع بشـيء من أمور الدنيا حتى يموتَ شـوقا[٩] إلى الله، إلا أنه إذا رآه الله على تلك الحال منَّ عليه بالطمأنينة[١٠]، **وهي الدرجة السادسة**.

فيطمئنُّ قلبُه حتى يكونَ كأنه مُعَاين له، وكأنه بين يَدْيه، فيكون هو مُسْتودَعه، وأنيسَه، وسائسَه، ودليله، فعند ذلك يُورَثُ الغنى، ولن[١١] يحتاج إلى غير تلك

---

(١) في (أ): «يعمله».
(٢) في (أ): «ولا اجتهادا».
(٣) «به» ساقط من (أ).
(٤) في (أ): «بالرحمة».
(٥) في (أ): «صار».
(٦) في (و): «جميع حب».
(٧) في (أ): «قد».
(٨) في (أ): «ذلك».
(٩) في (أ): «تشوقا».
(١٠) في (أ) و (و): «بالاطمأنينة».
(١١) في (أ): «وليس».

الحال، فيكون أعظم دعائه[١] للخلق بالإصلاح[٢]، وصرْف السُّوء عنهم، حتى يصيرَ بمنزلة الملائكة الذين يُسَبِّحون الليل والنهار لا يفترون[٣]، ويستغفرون لمن في الأرض[٤]، فعند ذلك لا تسقط له دعوة، **وهي الدرجة السابعة.**

فإذا صار إلى تلك الحال، لم يتفوَّه بشيء من حوائجه إذا خَطَرتْ ببَالِه، حتى تَصِير بين يديه، /٤٨ب/ وإلى ما أراد منها مِن غيْر أن يدعو بشيء، ثم[٥] يأتيه من حوائجه ما لم يَخْطرْ له على بال، لطفا من الله وتعاهدًا منه[٦]، حتى يَعجب من لُطْفه ونَظَره وصُنْعه، فيكون قوله عدْلا، وفِعْله رضا[٧].

فالحمد لله الذي مَنْ والاه نَعَّمَه وأغناه[٨]، والحمد لله رب العالمين.



(١) في (و): «دعاء».
(٢) في (أ): «بالصلاح».
(٣) «لا يفترون» ساقط من (و).
(٤) في (أ): «لمن الأرل»، وهو خطأ ظاهر.
(٥) «ثم» ساقط من (أ).
(٦) «منه» ساقط من (و).
(٧) نقل هذه الفقرة عن المؤلف ابن شق الليل في كتاب الدَّلالة على صَّحةِ الإجابات وإثبات الكرامات (١٤٨).
(٨) في (و): «مَن والاه نِعَمه أغناه».

[خاتمة في منازل الزُّهاد]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ[1]

سئل رجل من أهل العلم فقيل له: أوضح لنا المنزلة [التي][2] يَنال العبادُ بها القُربة من ربِّهم، ويقوون على معرفته[3]، ويَبلُغون بها رضوانه، والأمر الذي يُقرِّبهم إليه، ويقصر بهم عنه إيضاحا شافيا، حتى يكون ذلك عندنا بيِّنا؟

فقال: سأوضح لك ذلك -إن شاء الله-، فافهم قولي بفهم لا يُخالطه سهو، وتَذكر فيه بذكر[4] لا يُخالطه غَفْلة، واصبرْ عليه صبرًا لا يُخالطه جزع، فإنك إنْ تفعل ذلك ينهج لك مناهج الطريق، وتَسْلَم من تقصير طريق الهلكةِ، والتوفيق بالله.

اعلم أن الأمورَ مبتداها والذي لا يُنتفع بشيء إلا به: **العقلُ** الذي جعله الله جَلَّ ذِكْره زينة لخلقه، ونورًا لهم، فبالعقل عَرَفَ العبادُ خالقهم، وأنهم مخلوقون، وأنه المُدبِّر وهم المُدبَّرون، وهو الباقي وهم الفانون.

واستدلوا بعقولهم بما رأوا من خلقه في أرضه، وسمائه، وشمسه، وقمره، وليله، ونهاره، وعلموا أن لهم ولهذا الخلق خالقًا، وأن لذلك كلِّه مدبِّرا، وأنه لم يزلْ ولا يزال، وعَرَفُوا به الحسنَ من القبيح، وعَلِمُوا أن الظُّلمةَ في الجهل، والنور في العلم، هذا ما دلَّهم عليه العقلُ.

فقيل له: كيف يكتفي العبادُ بالعقل دون غيره؟

فقال: إن العاقلَ دلَّه عقله -الذي جعله الله قِوامه وزينته- أن له ربًّا، وعلم

---

(١) من هنا إلى قيد الفراغ من الكتاب ساقط من (و).

(٢) زيادة يقتضيها السياق من المدخل لابن الحاج.

(٣) في (أ): «معرفة». (٤) في المدخل لابن الحاج: «بتذكر».

أن ربه لم يَخْلقه عبثا، وأنه لم يَخْلق خَلْقه لَعِبا، وعَلِم أن لخالقه مَحبَّةً وكراهية، وأن له طاعةً ومعصيةً، فلم يَجدْ عقله يدله إلا على ذلك.

وعلم أنه لا يوصل إليه إلا بالعلم وطلبه، وأنه لا ينتفع بعقله إن لم يطلب ذلك ويعلمه، **فَوَجَبَ على العَاقِل طَلَبُ العلم والأدب**، وهو الذي لا قِوام له إلا به.

فقيل له: صِفْ لنا ما هذا العلم الذي لا ينبغي للعاقل إلا طلبه، ولا يجوز له التقصير بنفسه عنه؟

فقال: طلب العلم الذي جاءتْ به رُسله وأنبياؤه عنه: من أَمْره، ونَهْيه، وَوَعْده، ووعيده، وملائكته، وكُتبه، ورُسله، وجَنَّتِه، وناره، وبَعْثِه، وحِسَابه، وحلاله، وحرامه، وطاعته، ومعصيته، ومَحبَّتِه، وكراهته.

فقيل له: فهل يكتفي العالمُ بما عَلِم من ذلك أو يحتاج إلى غيره؟

فقال: لا ينتفع العالم بما علم من ذلك دون الإيمان به، وأن يُقر ذلك في قلبه، حتى يعلم أن الله هو الحق، وأن ما سواه باطل، وأنه الرُّشد، وأنَّ ما سواه الغيُّ، وأنّ أَحدًا لا يملك له نفعًا لم يُقَدِّره له، ولا ضرًّا لم يكتبه عليه.

فقيل له: فهل يجب عليه بعد الإيمان غير ذلك أو[1] يكتفى به؟

قال: نعم، إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أمر عباده بالطاعة والعبادة له، والعمل بها، ونهاهم عن معصيته وركوبها، فمن آمن ولم يعمل كان متهاونا، ولا يقبل الله الإيمان إلا بالعمل بما أقرَّ به -يعني القلب-، وتصديق الإيمان العمل به، ولا ينتفع العباد بالإيمان دون العمل بما أقرَّ به القلب وتكلم به اللسان.

---

(١) في (أ): «و».

فقيل له: فكيف العلم[١]؟ وكيف هو وكيف العمل به؟

قال: أن تعمل بمحبة الله عَزَّوَجَلَّ وإن خالف هواك، وأن تعمل بطاعة الله وإنْ أسـخطك، وأن تجتنب سخط الله وإن سـرَّك، وأن تَدَعَ كراهيته وإن أعجبتك، وأن تُؤْثر ما هو له وإن ساءك، وأن تَرْغَبَ فيما رغَّبك، وتَزْهَدَ فيما زهَّدك، وأن تُؤْثر حين نَصَرك على الجهل، وأن تجعل القرآنَ إمامك ودليلك.

فقـال له السـائل: قد دَللتني علـى العمل فعرَّفـتَ، وعَرفْـتُ، فآمنتُ، فلم يكن عليَّ في ذلك كبير مؤنة، ولا عظيم مَشـقَّة، بل خِفَّة وراحة مع ما اسـتزدتُ بـه هدايـة وبصيـرة[٢] ومعرفة، فلما صرتُ إلـى العمل به لزمنـي في ذلك مؤنة شـديدة، وثقل كبير، حتـى حال بيني وبين كثير من لذيذ عيشـي ونعيم دُنياي، وحملنـي على المكروه، وصرفني عن كثير من السُّـرور، **فَصِفْ لي أمرًا أقْوَى به على العمل بما آمنتُ به، فقد اشتدَّت عليَّ مؤنتُه، وثَقُل عليَّ احتمالُه؟**

فقـال: الأمور التي تقوى بهـا على العمل والأدب: **الصَّبـرُ** الذي هو تمامه وقوامـه، فإنك إن صبرتَ انْتفعـتَ بعملك، وبلغتَ منه[٣] رضوان الله، وقويتَ فيه علـى العمل، وليس منزلة من منازل الخير إلا وللصبر فيه عمل وبه تمامه، فبالصـبر قوِيَ العبادُ على أداء الفرائض والحلال والحرام، وبالصبر قووا على اجتنـاب المحارم، وبالصبر بلغوا الغايةَ من كرامة الله وثوابه، فإذا صبرتَ على العمـل انتفعتَ بالعلم والأدب، وإنـك إن لم تصبرْ لم تعملْ، وإن لم تعمل لم تنتفع بالإيمان بما علمتَ.

ومـن لم يَنْتفعْ بالإيمان لم ينفعـه العمل، ومن لم ينتفع بالعمل لم يُغْن عنه

(١) في (أ): «العمل»، التصحيح من المدخل لابن الحاج.
(٢) في (أ): «وبصيرا».
(٣) في (أ): «خ: فيه».

العقل، فرأس أمر العباد[١] العقل، ودليلهم العلم، ونورهم الإيمان، وسائقهم العمل، ومقربهم الصبر، فمن لم تكن له قوة على الصَّبْر ضَعفَ، ومن ضَعف لم يعملْ، ومن لم يعمل لم يتم له أمره ونوره، وبقي في ظُلْمةٍ، ومن ذهب عنه النور عَمِي وحاد عن الطريق، **ومن لم يُبصر فليتبع الدليل؛ وهو القرآن.**

ومن يتبع[٢] العلم -الذي هو النجاة من الهول العظيم-، وعمل له، وصبر عليه: صار إلى غاية العلم والصبر[٣].

فقال له: قد بصَّرتني من فضل الصبر قوتَه، وعلَّمتني ما رغَّبني فيه، وقوَّاني على العمل به مع ثقله عليَّ، **فَصِفْ لي أمرًا أزداد بالصبر بصرا[٤]، وفيه رغبة وعليه حرصا؟**

فقال: بصرك بالمنفعة، وطلبك لها، وهروبك من المعصية وبليتها، هو [الذي] يُرغِّبك فيها، ويبيِّن لك فضلها[٥].

قال: قد شرحتَ لي أمر الصَّبْر وفَضْلَه، فَزِدْني به بصرًا[٦]؟

فقال له: هذا الدليل، والإمام كتاب الله هو يبيِّن لك فضلَ الصبر، ويُرغِّبك في لزومه، فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَصَفَ أعمال العباد، وذَكَر ثوابهم، فلم يذكر ثوابا يعدل ثواب الصبر، فإنه ذَكَر أنهم يوفون أَجْرَهم بغير حساب[٧]، فهو الدليل على فضل الصبر مع ما ذَكَر من ثوابه في مواضع من كتابه.

(١) في (أ) «العبادة»، وفي هامشها طرة: «خ: العباد».
(٢) في في المدخل لابن الحاج: «اتبع».
(٣) في المدخل لابن الحاج: «العلم والأدب».
(٤) في المدخل لابن الحاج: «تبصرا».
(٥) زيادة من المدخل لابن الحاج اقتضاها السياق.
(٦) في المدخل لابن الحاج: «تبصرا».
(٧) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١١].

فقال له صاحبه: قد دلَّني العلم وكتاب ربي على ما ذكرتَ من فَضْل الصبر وثوابه، فَزَادني بِفَضْله بصرا[١]، وازددتُ عليه حِرصا، وفيه رَغْبة، وبه تمسكا، وعليه اعتمادًا، مع شدةٍ منه عليَّ وثقل، وصبري[٢] على خلاف ما أشتهي، وحمل نفسي على ما أكْرَه؛ لطلبي فيه الأجر والفضل، وابتغاء العمل والأدب، **فَصِفْ لي أَمْرًا يَخِفُّ به علي مَؤنة الصبر، ويسْهل علي لزومه، ويَخِفُّ علي احتماله، وتذل لي صعوبته؟**

فقال له: أراك للخير مريدًا، وللفضل طالبا، وعليه حريصا، وتُحِبُّ أن تكون قد قويتَ على ما دلَّك عليه العلم بنفاذ من الصبر، وقوة من العلم[٣]، وذلك من علامات السعادةِ، فإن العبدَ كلما ازداد عِلْما، وفيه تعمقا[٤] ازداد للخير طلبا، وعليه حرصا، فَخَفَّ عليه الثقيل، وقَرب عليه البعيد، ولَهَا في الدنيا عما يزيد.

وإنما الثقل[٥] والتعسير تمثال[٦] الدنيا في قلب العبد، وهو مرصد إبليس وسلاحه، فإذا قَطَع عنه ذلك أنار قلبه[٧]، وخرجت الظُّلمة منه، فلم يكن للشيطان به قوة[٨]، ولا له فيه نَصِيبٌ، ووصل من الأمر إلى ما يريد.

فقال له: زدني ما يسهل به علي ثقل احتمال الصبر ويُخَفِّفه علي؟[٩]

قال له: فالأمر الذي يُسهِّل عليك ثقل احتمال الصبر، ويخففه عليك: الرِّضا عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بكل ما صنع بك، واختاره لك، وساقه إليك.

---

(١) في المدخل لابن الحاج: «تبصرا». (٢) في المدخل لابن الحاج: «وصبر».

(٣) في المدخل لابن الحاج: «من العمل». (٤) في المدخل لابن الحاج: «تفهما».

(٥) في (أ): «الثقيل». (٦) في (أ): «تميل».

(٧) في المدخل لابن الحاج: «استنار القلب».

(٨) في المدخل لابن الحاج: «به احتمال قوة».

(٩) «فقال له: زدني ما يسهل ... ويخففه علي» زيادة يقتضيها السياق من كتاب المدخل لابن الحاج.

فقـال له صاحبه: فأَوْضِحْ لي كيف تَهُون عليَّ مؤنة الصبر برضائي عن الله، ويخفُّ عليَّ احتماله؟

فقال له: أَلَسْتَ تعلم أنك إنما انتسبت إلى الرِّضا وسمَّيته صبرًا؛ لأن الأمر الذي نزل بك مكروه عليك، وإنَّ هواك ونفسك ينازعانك إلى غيره، فاحتجتَ إلى الصبر، فتدبَّرتَ واعتبرتَ، فَصِرتَ من ذلك إلى موضع رضاه.

ثم تجاوز بك الأمر حتى تصيرَ إلى موضع السُّرور، حتى ترى أن لو صرف ذلـك الأمـر عنك لَصِـرتَ منه إلى تقوية نفسـك، وعلمت أن مـا صرف عنك عقوبـة لبعض مـا أحدثت من ذنوبك، أو قصَّرت فيه من شـكر مـا أنعم الله به عليـك، فصـرت منه إلى درجة رفيعـة، ومنازل أهل الرضا، وإنمـا يُوصَل إلى ذلـك بالمعرفـة بالله، وبمعرفته بنظـره إليك[١]، فتعلم أنه أنظر له من نفسـه[٢]، فترضى بما رضي به، وترغبُ فيما رغبه، وتزهد فيما زهده، والزهد من الرضا.

قـال: قد علمتُ فَضْلَ الرِّضا ووضح لي أمـره، فَصِفْ لي كيف يَهونُ عليَّ أمـر الصبر بالزهد؟ وكيف مأخـذه؟ فقد أراني مع ما أصير إليه من الزُّهد مُقيما علـى الصـبر، وأزداد أيضـا مع زُهـدي في الدنيا أمـورًا أحتاج فيهـا إلى الصبر مخالفة لهواي، ورفضي شـهواتي[٣]، وما تنازعني نفسـي مـن لذاتي، فقد أراني ازددتُ ثِقلا وضَجَرا.

قـال: أراك لا تقبـل مـن الأمـور إلا أصحهـا[٤]، ولا ترضـى لنفسـك إلا بواضحهـا، ولا تختار منها إلا أرشـدها، وذلك من الأمـور التي أرجو لك بها

(١) في (أ): «إليه».

(٢) في المدخل لابن الحاج: «فتعلم أنك لا نظر لك من نفسك».

(٣) في المدخل لابن الحاج: «ورفضا لشهواتي».

(٤) في المدخل لابن الحاج: «أصلحها».

القوَّة، والنجاح لحاجتك، والظَّفَر بطِلْبتك، وبلوغك أقصى الغاية من إرادتك، فافهم قولي، وتَدَبَّر نُصحي، فإن الحُجَّة في ذلك واضحة، والأمر فيه بيِّن.

قال: ألست تَعْلَمُ أن الدنيا كانت باقيةً في قلبك، وأن حبَّها غالبٌ عليك، وأن سُرورها فرح لك، وأن مكروهها شديد عليك، فحملت نفسك على قطع ذلك مع حُبِّك لها، وإيثارك لها، تكرُّها منك لطلب[1] الفضل من احتمال الصبر، وحَمَلْتَ نفسك على المكروه من أمر دُنياك، وصبرتَ عليها لِشِدَّة منه عليك؛ لأن مكروهها عندك مكروه، ولأن سرورها عندك سرور، فثَقُل عليك الصوم لقطعك الشهوة عن نفسك من الأكل والشرب، وثقلت عليك الصلاة والاشتغال بها؛ لما تُسِرُّه إليك نفسك من اللهو والحديث في الباطل.

وثَقُلت عليك الزكاة والصدقة؛ لما تحب أن تصرفه فيه من لذاتك.

وثَقُل عليك التواضع؛ لما ترى[2] من تصغير شأنك، ودناءة منزلتك عند أهل الدنيا.

وثَقُل عليك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لكي لا يعاديك الناس أو ينقطع رجاؤك منهم، أو يُسْمِعونك ما تكره، فيدخل عليك التنغيص في سرورك.

وثَقُل عليك القنوع والرِّضا؛ لعظيم مَوقِع الدنيا من قَلْبك، وحُبِّك للإكثار منها، وحرصك عليها، وكراهيتك للموت ونعيم ما بعده مع أشياء كثيرة يطول وصفها.

وكل ذلك إنما صار شِدَّته عليك لحب الدنيا، وإنما ثقل عليك الصبر وملته، وضيق الشيطان عليك المذاهب من أجل ذلك؛ لأن سلاحَه الذي به يقوى وكيده الذي يصل به إلى أهل الدنيا الرغبة فيها وطلبها، فإذا أنت زهدتَ

---

(١) في المدخل لابن الحاج: «ونزلها منك مع طلبك».

(٢) «لما ترى» زيادة من كتاب المدخل لابن الحاج.

في الدنيا ورفضتها، ورغبتَ في الآخرة وطلبتها: سَهُل عليك الأمر، فآثرتَ الآخرة وطلبتها ورغبتَ فيها، وأدبرتْ عنك الدنيا وثقلها، وتولت عنك هاربة ببلائها، وأتتك بمنافعها، وصرفتَ عنك شرورها برغم منها، وانقطع رجاء الشيطان، وصغر كيده، وولَّى وقلَّ سلاحه، فلا قوَّة له بك، ونجوتَ بعصمة الله وتوفيقه من الضِّيق والتعسير والهلكة، وصرتَ إلى النعمة والسرور والرَّاحة، وخرج حبُّ الدنيا من قلبك، فلزمتَ الصيام وخفَّ عليك؛ لأنه لم تكن نفسك تنشرح إلى الأكل والشرب وغيرهما[1] من الشهوات.

ولزمتَ الصلاة واشتغلت بها؛ لأن نفسك لم تكن تنازعك إلى اللَّهو، أو خلوة إلى حديثٍ في باطل.

وخفَّتْ عليك الزكاة والصدقة؛ لأنك اعتددتَ ما قدمته أمامك، ولا تريد منه شيئًا يبقى خلفك.

وخفَّ عليك التواضع؛ لأن الإياسَ قد خرج من قلبك.

وهان عليك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن الناس قد استووا عندك، فلم تَرجُ أحدًا غير ربِّك، ولم تخف شيئا غيرَه.

وخف عليك القنوع؛ لأنك رضيت من الدنيا باليسير، ولم تُنازعك نفسك إلى غير البلاغ والكفاية.

وخف عليك الجهاد؛ لأن الدنيا قد أخرجْتَها من قلبك وحبَّ البقاء فيها، وأحببت الموتَ؛ لما ترجو من النعيم والسرور، والحياة الدائمة التي أمامك.

فالزهد في الدنيا راحةٌ للقلب والبدن، وهو جماع للخير وتمامه، وليس

(١) «وغيرهما» زيادة من كتاب المدخل لابن الحاج.

شـيءٌ من أعمال البِّر إلا وله ضد من غيره، فمـا قصر بك عنه فارفضه، وازهد فيه يَسْلَم لك عملُك، ويَخِفَّ عليك ثقله.

فقـال له صاحبه: أوضحتَ فبيَّنْت، وأرشـدت فهديتَ، وكشـفتَ فأريتَ، فصـفْ لي كيـف الزهد ومأخذه والـذي ينبغي لـي العمل به، فقد اسـتبان لي فضله، ووضح لي رشده؟

فقـال لـه صاحبه: إن الزهـد في الدنيا واجب عليك؛ وهو الـورعُ، لا يجوز لـك التقصيـر فيه، ولا الرَّغبة عنه، وهو اجتناب ما حـرَّم الله عليك ونهاك عنه، فهـذا الأمرُ لازم لك، لا عُذر لـك في التقصير عن الزهد طلبـا للفضل والقربة إلى ربك، ونفيا لكلِّ أمر قَصَّر بك عنه من المسـارعة في طاعته والمسـابقة إلى رضوانه، فهذا ما ينبغي لك العمل به، وإدارة صلاح نفسك عليه.

فقال: أما ما حرَّم الله علي، ونهاني عنه: فقد دلَّني عليه العلم؛ لأنه ضار، ولا ينبغـي لي المقام عليه، ولا العمل به، فزهـدت فيه، ورفضته، **فصف لي الزهد الذي أرجو أن أنال به كرامة سيدي، وأن أبلغ من ذلك محبَّته، وأن أدفع به عني كيد الشيطان ومَكْرَه؟**

فقال له: ذلـك الزهد في فضولها، والرِّضا من الدنيا بيسـيرها، والأخذ منها بقدر البلاغ إلى غيرها، ورفض ما سـوى ذلك مـن فضولها وأمورها، بإخراج الإيـاس مـن قلبك، فـلا تخـفْ أحـدًا في الله، ولا تُريد حمد أحد مـن الناس، ويسـتوي الناسُ عندك فلا ترجـو أحدًا[1] غير الله، ولا تطلـبْ فضله، وتنصح في الله في السـر والعلانيـة، ولا تخفْ لـوم أحد من النـاس، ولا عَذْله، وتُحب في الله، وتبغض في الله، ولا تشـغل قلبك بشـيء غيره، وتلزم التواضع والتذلل

---

(١) «أحدا في الله ... فلا ترجوا أحدا» مكرر في (أ).

لربك، وتخمل ذكرك، وتُغيِّب اسمك، ولا تريد بذلك تعظيم أحد من غير الله تَبَارَكَوَتَعَالَى، وتُحبُّ الموتَ، وتكون ممتثلا له بين عينيك لرجاء ما بعده، وتزهد في الحياة مخافةَ الفتنة والبلية.

فهذا أصل الزهد، فإذا أنتَ وصلتَ إلى ذلك نِلْتَ شرف الآخرة، ونجوتَ بعون الله من بلية عاجلتك.

فقال له صاحبه: لقد ذكرتَ لي من أمر الزهد شيئا ضاق به ذرعي، واشتدَّ له غمِّي، واعتصر له قلبي، واستصعبَ به عليَّ أمري، وتفرَّق له رأيي، واشتدت عليَّ المؤنة فيه، وقد كان الصبر والاحتمال له أيسر علي مؤنة منه، وأخفَّ علي محملا من الزهد، وخشيت أن لا أقوى على احتماله، ولا تطيق نفسي العمل بكماله، ولا تعزم علي القيام بتمامه، وأن تَملَّه وترفضه، وترجع معه إلى غيره مما فيه هلاكها، وعطبها، وقد عرفتُ فضل الزهد، وعظيم قدره، **فصفْ إلي أمرًا أتقوى به على الزهد، ويخففه علي؟**

فقال له صاحبه: قد فهمتُ قولك، ولقد صَعُب عندك الذلول، واشتدَّ عندك اليسير، وثقل عليك الخفيف، وعمي عليك المنير، أجل؛ وما ألومك حيث اشتدَّ عليك من أمرك ما ذكرتُ حين لم تعلم الأمر الذي له في الدنيا زهدت، والذي به عليه قويتَ.

ولو علمته لهان عليك من أمركَ الشديد، وخفَّ عليك الثقيل، وسَهُل عليك موارده، وسهل لك فيه المذاهب، ولخفَّتْ عليك فيه المؤنة، فتفهَّم قولي بعقل، وتدبره بحكم، وخذ فيه بقوَّة وجدٍّ.

واعلم أن العباد زهدوا في الدنيا، ودعاهم إلى الزهد فيها ورفضها خصالٌ شتى، بعضها أرفع وأعلى درجة من بعض، وكلها داعية إلى الزهد فيها:

فـأوَّل درجات الزهد: أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خلق العبـاد في الدنيا، وجعل ما فيها زينـةً لها، وزهدهم فيها، وخلق الآخرة ونعيمهـا، وندبهم إليها، ورغَّبهم فيها، وأعلمهم أنهم عن الدنيـا مرتحلون، وأنهم إلى الآخرة صائرون، فرغَّب العباد في الباقي، وزهَّدهم في الفاني: فآثر الآخرة واطلبها، وازهد في الدنيا، وارفضها؛ كي لا ينتقص[1] من حظك في الآخرة بما نلت من نعيم دنياك.

وأمـا المنزلة الثانية من الزهـد في الدنيا، فإن الله عَزَّوَجَلَّ خلق العباد في الدنيا، فأوجـب المـوتَ عليهم، وأعلمهم أنهـم ميتون، وضرب لهـم فيها أجلا، فلم يعلموا في أي الأوقاتِ والسـاعاتِ تأتيهـم مَنِيَّتهم، فَتَحول بينهم وبين دنياهم، ونعيم عيشـهم، ومفارقة أحبابهم، فلما استقرَّ الموتُ في قلوبهم أسهروا لذلك أعينهم، واشـتغلوا بهمومهـم عن أهاليهم وأولادهـم، ودام حزنهم وبكاؤهم، وزهـدوا في الدنيا، وأهلها ونعيمها، فصار الليل والنهار بمنزلة الضيفان، وكان المقـوِّي لهـم على الزهـد في الدنيا ذكر المـوت وقصر الأمل، فهـذه الخصلة شريفة من خصال الزهد في الدنيا.

وأمـا الخصلـة الثالثة في الزهـد: تصديق العبد بربه فيمـا أخبرهم به من نعيم الآخـرة، وما خوَّفهم من عقاب النار وعذابها، وما حذرهم من الدنيا، والاغترار بها، فزهد فيها وأحبَّ بالموتَ مفارقتها، والتباعد والخروج منها إلى داره وقراره تبصرًا منه بالدنيا وحالها، فهذه الخصلة من خصال الزهد أشرف مما قبلها.

فقال له صاحبه: ما تركتَ لي إلى الدنيا والرُّكون إليها سـبيلا، ولقد استبان لـي قولك البِّر والحق، ووضـح لي من وصفك الصـدق، وقَوِيت -بحمد الله وتوفيقه- على الزهد فيها، ورفضها؛ **فصفْ لي بصفتك الشافية، والدواء النافع**

---

(١) في (أ): «ينتقض».

لداء قلبي حتى تخبرني ما الأمر الذي يدلني على هذه الخصال، ويقويني عليها؟

فقـال: الأمر الذي يدلك على هـذه الخصال، ويقويك عليهـا، وينورها في قلبك هو **اليقين** الذي لا يخالطه شك، **والتصديق** بربك الذي لا يخالطه لبس، فإنـه من صدَّق ربه أيقـن، ومن أيقن أبصر، ومن أبصر زهـد، والزهد في الدنيا شعبة من شعب اليقين، وأفضل اليقين التوكل.

قال: فصفْ لي اليقين لأعرفه؟

قال: أن تعلم أن الله وحده لا شريك له، وأنه الحق المبين، وأنه كما وصف نفسـه في قُدرته، وسـلطانه، وخلقـه، وأنَّ وعده حق، وقوله صـدق، ووعيده، وكتابه، ورسـله حق، تقرُّ بذلك في قلبك، وتتبع كتاب ربك؛ فهذا اليقين الذي لا يشك فيه.

قال: صِفْ لي التوكل لأعرفه؟

فقال: التـوكل هو العمل بطاعته، وتصديق اليقيـن دلالته، فمن أيقن وعلم أن الله خالقُ الأشـياء، والمقتدرُ عليها، والمالكُ لها، والمنفردُ بها: توكل عليه في جميع أموره، وقطع رجاءه عمن سواه من خلقه، ولـم يثق بأحد، ولـم يتأنس إلا بـه، فانقطـع إلـى الله، وتـوكل عليه في جميـع حالاتك، فهـذه صفة العمل والتوكل ومأخذه.

قال: ما الذي يدلني على الفكرة، ويقويني عليها، وليس كلما أردت الفكرة وصلت إليها؟

قـال: أجـل لا تصـل إلى مـا تريد من الفكـرة مع الاشـتغال بغيرها، فسـبيل الوصـول إلى الفكـرة: الصيام، وترك الإكثـار من الطعام، والشـراب، واعتزال

الشهوات، ولزوم الصمت إلا من ذكر الله، والخير والخلوة في الاعتزال، ورفض الاشتغال في الفضول، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه[1] [٦٧].



---

(١) كذا في قيد الفراغ من (أ)، وفي (و): «كمل بحمد الله الجزء الثاني وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، وبتاريخ عشية يوم السبت ثاني عشر رجب الأحب من عام ١٢٢٤هـ، على يد عبد الله وأقل عبيده محمد بن أبي القاسم بن الغافقي الفاسي الدار، وكان كتبه بدكالة بالموضع المسمى بصور ابن الحاج، بزاوية الولي الصالح الصوفي الناجح سيدي عبد الرحمن بن رحال، كان الله لنا وله، وغفر لوالدينا ولوالديه ولجميع المسلمين، يتلوه إن شاء الله الجزء الثالث، والله المستعان/ ٤٩أ/ ».

ملحق

[جزء في أخبار يمن بن رزق برواية تلميذه يحيى بن عمر][١]

قال أبو بكر محمد بن محمد بن اللباد: قال لي يحيى بن عمر: لم يكن مع يمن بن رزق إلا مصحف، وهذا الكتاب[٢].

قال: وكان لا شيء عنده، فإذا أراد أن يشتري شيئا أدخل يده تحت الحصير، فيخرج دراهم صحاحا جيادا كبارا[٣].

قال يحيى: وكان في بيته النهار كله يصلي، فإذا جاء وقت الفريضة صلاها في المسجد مع الناس في جماعة، وكان مضجعه بالليل حصيرا على التراب.

قال يحيى: قال لي خادم يمن بن رزق: كنت أجيئه فأسأله عما يحتاج، فيدخل يده تحت الحصير، فيخرج إلي الدراهم، فاشتري له حاجته، فامتحنتُ[٤] يوما لما قام يتهيأ للصلاة إلى الحصير، ففتشت تحته فلم أجد تحته شيئا، فجعلت غيره مكانه، ثم سألته النفقة، فرفع الحصير وأخرج دراهم فأعطاني[٥].

قال: قرأت على أبي القاسم خلف بن محمد بن خلف الخولاني المكدور[٦] بقرطبة في مسجده في **شهر المحرم سنة أربع وسبعين وثلاثمائة**: حدثكم أبو بكر

---

(١) ورد في آخر النسخة (أ).

(٢) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (٢/ ١٩٨).

(٣) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (٢/ ١٩٨).

(٤) كذا في الأصل؛ ولعلها: «فانتحيت» أي مال إلى ناحية.

(٥) نقل هذا النص عنه ابن شق الليل في كتابُ الدَّلالة على صَّحةِ الإجابات وإثبات الكرامات (ص:١٤٨).

(٦) توفي عام ٣٧٤هـ تنظر ترجمته في تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (١/ ١٦٢)، تاريخ الإسلام للذهبي (٨/ ٤٠٠).

محمد بن محمد بن اللباد، قال لي يحيى بن عمر: لم يكن مع يمن بن رزق إلا مصحف وهذا الكتاب، وكان لا شيء عنده، ولا في بيته شيء، وإذا أراد شيئا أو يتصدق بشيء أدخل يده تحت الحصير، فيخرج دراهم صِحاحا كبارا.

قال يحيى: وكان في بيتـه النهار كأنه يصلي، فإذا جاء وقت الفريضة صلاها في المسجد مع الناس في جماعة[١].

قال لي محمد: قال لي يحيى بن عمر: قال لي يمن بن رزق: لما أن احتملت أو هممت أن أحتلم، رأيت في منامي كأنه قفل نحاس على قلبي، فنظرت إلى مفتاح ملقى بين يدي، فوقع بقلبي أنه مفتاح ذلك القفل، ففتحت به ذلك القفل[٢].

وكان يمن ينام على حصير على الأرض.

قـال يحيى بن عمر: فسـمعت أبا بكر يمن بـن رزق يقول عند الموت وهي آخر كلمة سمعتها منه: الحمد لله على فراق الدنيا[٣].

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين،

والحمد لله رب العالمين.



(١) تاريخ علماء الأندلس (٢/ ١٩٨).

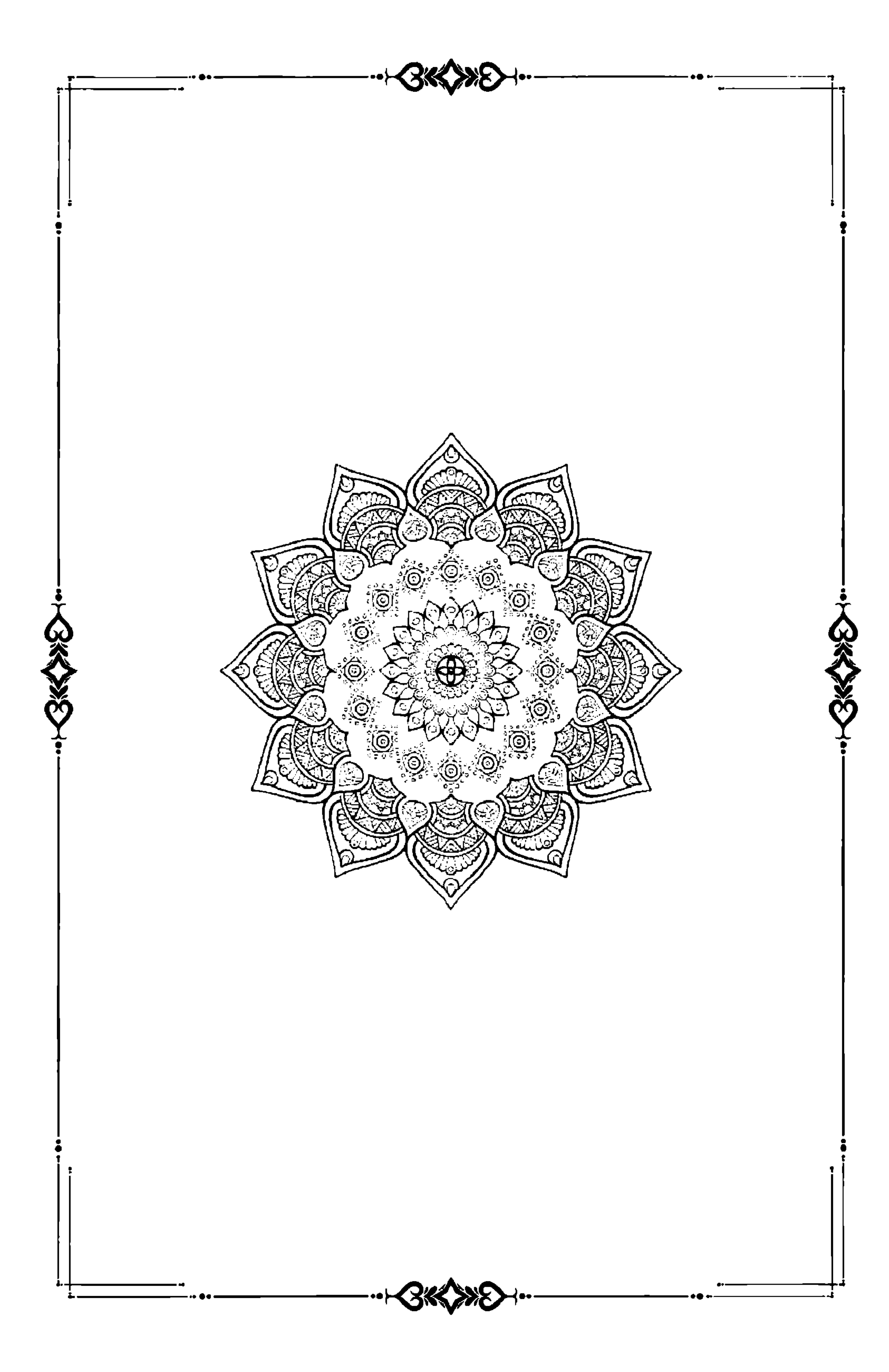
(٢) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (٢/ ١٩٨).

(٣) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (١/ ١٩٨).

قسم الفهارس العامة

وفيه:

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث والآثار
- فهرس الأعلام
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات



فهرس الآيات

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام



فهرس المصادر والمراجع

- إحيـاء علوم الدين؛ لأبـي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسـي (ت:٥٠٥هـ)، نشـر: دار المعرفة، بيروت.

- أخبـار الفقهاء والمحدثين؛ لمحمد بن حارث الخشـني (ت: ٣٦١هـ)، تحقيق: ماريا لويس آبيـلا ولويـس مولينـا، طبع المجلـس الأعلى للأبحـاث العلمية: معهـد التعاون مـع العالم العربي، مدريد، عام: ١٩٩٢م.

- أخـلاق العلمـاء؛ لأبي بكر محمد بن الحسـين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغـدادي (ت: ٣٦٠هـ)، راجعـه وعلـق عليه: فضيلة الشـيخ إسـماعيل بن محمـد الأنصاري، نشـر: رئاسـة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية.

- آداب النفوس؛ لأبي عبد الله الحارث بن أسـد المحاسـبي (ت:٢٤٣هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، نشر: دار الجيل، بيروت، لبنان.

- الاسـتدراك على الاسـتيعاب؛ للحافظ أبي إسـحاق إبراهيم الطليطلي المعروف بابن الأمين (ت٥٤٤هـ)، رواية أبي القاسـم ابن بشكوال (ت٥٧٨هـ) مع زياداته، تحقيق: الأستاذة حنان الحداد، من منشورات وزارة الأوقاف المغربية، طبع: مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط:١/ ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

- أعـلام مالقة؛ لأبي عبد الله بن عسـكر وأبي بكر بن خميس، تحقيـق: الدكتور عبد الله المرابط الترغي، دار الغرب الإسلامي ودار الأمان، ط:١/ ١٤٢٠هـ.

- الأنسـاب؛ لأبـي سـعد عبـد الكريـم بـن محمـد بـن منصـور التميمـي السـمعاني المروزي (ت:٥٦٢هـ)، تحقيـق: عبد الرحمن بن يحيـى المعلمي اليماني، مكتبة ابـن تيمية، القاهرة، ط: ٢/ ١٩٨٠م.

- البحر المديد في تفسـير القـرآن المجيد؛ لأبي العباس أحمد بن محمد بـن المهدي بن عجيبة الحسـني الأنجري الفاسـي الصوفي (ت: ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، نشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، ط: ١٤١٩هـ.

- بغيـة الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس؛ لأبـي جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي (ت:٥٩٩هـ)، دار الكاتب العربي، القاهرة، ط: ١٩٦٧م.

- **بهجة النفوس وتحليتها بمعرفة ما لها وما عليها: شرح مختصر صحيح البخاري**، للإمام أبي محمد عبد الله بن أبي جمرة الأندلسي (ت:٦٩٩هـ)، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط:٣.

- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**؛ لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت:٧٤٨هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط: ١/ ٢٠٠٣م.

- **تاريخ دمشق**؛ لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت:٥٧١هـ) تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥هـ.

- **تاريخ علماء الأندلس**؛ لأبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، المعروف بابن الفرضي (ت: ٤٠٣هـ)، عُني بنشره؛ وصححه؛ ووقف على طبعه: السيد عزت العطار الحسيني، نشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: ٢/ ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

- **تاريخ ابن يونس المصري**؛ لأبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي، (ت: ٣٤٧هـ)، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١/ ١٤٢١هـ.

- **تخريج أحاديث إحياء علوم الدين**؛ العِراقي (٧٢٥ - ٨٠٦هـ)، ابن السبكى (ت:٧٧١هـ)، الزبيدي (ت:١٢٠٥هـ)، دار العاصمة للنشر، الرياض، ط:١/ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

- **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**؛ لأبي الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت: ٥٤٤هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين: جزء ١: ابن تاويت الطنجي، ١٩٦٥م، جزء ٢، ٣، ٤: عبد القادر الصحراوي، ١٩٦٦ -١٩٦٧م، جزء ٥: محمد بن شريفة، جزء ٦، ٧، ٨: سعيد أحمد أعراب ١٩٨١-١٩٨٣م، مطبعة فضالة، المحمدية المغرب، ط: ١.

- **التكملة لكتاب الصلة**؛ للحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، المعروف بابن الأبار (ت:٦٥٨هـ)، تحقيق: عبد السلام الهراس، طبعة دار الكتب العلمية، عام: ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

- **تكملة المعاجم العربية**؛ لرينهارت بيتر آن دُوزِي (ت: ١٣٠٠هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي وجمال الخياط، نشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط:١/ من ١٩٧٩-٢٠٠٠م.

- **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**؛ لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: الدكتور محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض.

- **جامع البيان في تأويل القرآن**؛ لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، نشر: مؤسسة الرسالة، ط:١/ ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

- **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**؛ لأبي عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي (ت: ٤٨٨هـ)، نشر: الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، ط: ١٩٦٦م.

- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**؛ لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، السعادة، بجوار محافظة مصر، ط: ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

- **الدَّلالة على صَّحةِ الإجابات وإثبات الكرامات ونقض ما نُسب إلى مكي من الأبيات**؛ للحافظ الفقيه أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد السلام الأنصاري الطليطلي الأندلسي المعروف بابن شق الليل (ت:٤٥٥هـ)، تحقيق: الدكتور أنيس سالم والدكتور محمد علوان، دار فارس للنشر والتوزيع، الكويت، ط:١/ ٢٠٢٣م.

- **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**؛ لبرهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن محمد المشهور بابن فرحون (ت:٧٩٩هـ)، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث القاهرة، ط: ٢/ ٢٠٠٥م.

- **الذريعة إلى مكارم الشريعة**؛ لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار النشر: دار السلام، القاهرة، ط: ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م.

- **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**؛ لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (ت:٧٠٣هـ)، تحقيق: إحسان عباس، طبعة دار الثقافة.

- **الروض المعطار في خبر الأقطار**؛ لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، طبع على مطابع دار السراج، ط:٢/ ١٩٨٠م.

- **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزُهادهم ونساكهم وسيِّر من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**؛ لأبي بكر عبد الله بن محمد المالكي (تبعد ٤٥٣هـ)، تحقيق: بشير البكوش، راجعه: محمد العروسي المطوي، نشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط:٢/ ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

- **الزهد**؛ لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:١/ ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

- **الزهد الكبير**؛ لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، نشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط:٣/ ١٩٩٦م.

- **الزهد والرقائق**؛ لأبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (ت:١٨١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- **سنن الترمذي**؛ لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت:٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، نشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:١/ ١٩٩٦م.

- **سنن النسائي الكبرى**؛ لأحمد بن شعيب لأبي عبد الرحمن النسائي، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١/ ١٤١١هـ-١٩٩١م.

- **سير أعلام النبلاء**؛ لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت:٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط:٢/ ١٤٠٥هـ.

- **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**؛ لمحمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (ت: ١٣٦٠هـ)، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط:١/ ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

- **شعب الإيمان**؛ لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، تحت إشراف: مختار أحمد الندوي، نشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط:١/ ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

- **صحيح البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**؛ لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت:٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، نشر: دار طوق النجاة، ط:١/ ١٤٢٢هـ.

- **صحيح مسلم**؛ لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت:٢٦١هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة، ط:١/ ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

- **صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار**؛ لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري (ت: ٩٠٠هـ)، اعتنى به: إ. لافي بروفنصال، نشر: دار الجيل، بيروت، لبنان، ط: ٢/ ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

- **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس**؛ لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت:٥٧٨هـ)، تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط: ٢/ ١٣٧٤هـ.

- **الصمت وآداب اللسان**؛ لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط:١/ ١٤١٠هـ.

- **الضعفاء الكبير**؛ لأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي (ت: ٣٢٢هـ)، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، نشر: دار المكتبة العلمية ، بيروت، ط:١/ ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

- **طبقات المفسرين**؛ للحافظ محمد بن علي بن أحمد، الداوودي المالكي (ت:٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١/ ١٤٠٣هـ.

- **العزلة والانفراد**؛ لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، تحقيق: مسعد عبد الحميد محمد السعدني، نشر: مكتبة الفرقان، القاهرة.

- **كتاب العين**؛ لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، نشر: دار ومكتبة الهلال.

- **الغنية: فهرست شيوخ القاضي عياض**؛ لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت:٥٤٤هـ)، تحقيق: ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، ط: ١/ ١٤٠٢هـ -١٩٨٢م.

- **فهرسة ابن خير الإشبيلي** (ت: ٥٧٥هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، نشر: دار الغرب الاسلامي، تونس، ط:١/ ٢٠٠٩م.

- **فهم القرآن ومعانيه**؛ لأبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، (ت: ٢٤٣هـ)، تحقيق: حسين القوتلي، نشر: دار الكندي، دار الفكر، بيروت، ط:٢/ ١٣٩٨هـ.

- **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد**؛ لأبي طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي، المكي (ت: ٣٨٦هـ)، تحقيق: الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:٢/ ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.

- **اللباب في تهذيب الأنساب**؛ لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري، المعروف بابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، دار صادر، بيروت.

- **لسان العرب**؛ لأبي الفضل محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الإفريقي، المعروف بابن منظور (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط: ٣/ ١٤١٤هـ.

- **لسان الميزان**؛ لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط:١/ ٢٠٠٢م.

- **الكنى والأسماء**؛ لأبي بِشْر محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الأنصاري الدولابي الرازي (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط:١/ ١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠م.

- **المحبة لله سبحانه**؛ لأبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد الختلي السرمرائي (ت نحو ١٧٠)، تحقيق: الدكتور عادل بن عبد الشكور الزرقي، نشر: دار الحضارة للنشر والتوزيع - الرياض، ط:١/ ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

- **مختار الصحاح**؛ لأبي عبد الله زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، إخراج دائرة المعجم في مكتبة لبنان، مكتبة لبنان، ط: ١٩٨٨م.

- **المدخل المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد**؛ لأبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي، الشهير بابن الحاج (ت: ٧٣٧هـ)، دار التراث، ط: بدون طبعة وبدون تاريخ.

- **المسالك والممالك**؛ لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت: ٤٨٧هـ)، نشر: دار الغرب الإسلامي، ط: ١٩٩٢م.

- **المسند**، للإمام أحمد بن حنبل (ت:٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، نشر مؤسسة الرسالة، ط:١/ ١٤٢١هـ.

- **معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي**؛ لابن الأبار: محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت:٦٥٨هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط: ١/ ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠م.

- **معجم البلدان**؛ لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ط: ٢/ ١٩٩٥م.

- **المعجم الوسيط**؛ من إعداد: إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، نشر دار الدعوة.

- **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**؛ لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ (ت٦٩٦هـ)، أكمله: أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي (ت٨٣٩هـ)، تحقيق: إبراهيم شبوح، نشر مكتبة الخانجي بمصر، ط:١/ ١٩٦٨هـ.

- **مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة**؛ لأبي العباس بن العريف (ت٥٣٦هـ)، جمعه أبو بكر عتيق بن مؤمن (ت٥٤٨هـ)، تحقيق: الدكتورة عصمت عبد اللطيف دندش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط:١/ ١٩٩٣م.

- **مقاييس اللغة**؛ لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت:٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر: ١٩٧٩م.

- **مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار**؛ للحسين بن نصر ابن خميس (ت: ٥٥٢هـ)، تحقيق: محمد أديب الحادر، نشر مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، ط: ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م.

- **الوافي بالوفيات**؛ لصلاح الدين أبي الصفا خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت:٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ط:١/ ٢٠٠٠م.



فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحة

الموضوعات	الصفحة

